أفعال الصيرورة في اللسان العربي
دراسة وتطبيق

د . عوض إسماعيل عبد الله
أستاذ اللغويات المساعد في كلية الدراسات
الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة
جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام الأتمان على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي الأمين ، وعلى آله وصحابته الغرّ الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. وبعد ..

فمن المعاني الدائرة في اللسان العربي المستعملة استعمالاً واسعاً : معنى التحول والانتقال من حال إلى حال ، سواء كان في المعنويات أو المحسوسات ، وهذا المعنى يعبر عنه النحاة بـ (الصيرورة) .

والفعل المستعمل ـ أصلاً ـ في هذا المعنى هو الفعل (صار) وما تفرّع عنه بتعديته بالتضعيف فيقال (صيّر) ، أو بالهمزة فيقال (أصار) .

والفعل (صار) ـ معلوم ـ أنه أحد الأفعال الناسخة الرافعة للمبتدأ الناصبة للخبر ، والفعل (صيّر) ـ كذلك ـ أحد الأفعال الناسخة الناصبة للجزأين المبتدأ والخبر وهي ما تعرف في كتب النحو بأفعال التصيير أو التحويل .

ومما لفت نظري وأثار دهشتي أن هذين الفعلين مع أنهما أصل المعنى إلا أنهما لم يردا في القرآن الكريم بهذا الاستعمال .

فأما (صار) فقد وردت مرة واحدة بمعنى الثبوت والرجوع في قوله تعالى : ﴿ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ [1] أي : تثبت وترجع ، وأما (صيّر) فلم ترد البتة ، ولكن وردت أفعال أخرى مؤدية معنى (صار) وعاملة عملها ، نحو : كان ، وأصبح ، وظل ، ووردت ـ أيضا ـ أفعال أخرى مؤدية معنى (صيّر) وعاملة عملها نحو : جعل ، وترك ، واتخذ ..

---

(١) الشورى : ٥٣ .

الخ ، كما وردت أفعال ألحقت بكل منهما كان للعلمـــاء فيهـــا اتجاهـــات وتوجيهات .

فدفعتني هذه الملاحظة إلى النظر في هذه الأفعال من حيث معانيهـــا ، واستعمالاتها ، وأسرارها ، ومن باب تتميم الفائدة عمـــدت إلـــى معنـــى الصيرورة في صيغ الأفعال سواء كانت ثلاثية مجردة ، أو ثلاثية مزيـــدًا فيها .

وهذه الدراسة ــ إن شاء الله تعالى ــ تلقي الضوء على بيـــان معنـــى الصيرورة وضابطها عند النحاة ، والأفعال المستعملة فيهـــا ، ودراســـتها والتطبيق عليها من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأشعار العرب الفصحاء ونثرهم .

وسميت البحث : (أفعال الصيرورة في اللسان العربي دراسة وتطبيق) وقد تضمن البحث تمهيدًا وثلاثة مباحث وخاتمة .

ــ فالتمهيد : تناولت فيه معنى الصيرورة وضابطها .

ــ والمبحث الأول : (صار) ومرادفاتها .

ــ والمبحث الثاني : (صيّر) ومرادفاتها .

ــ والمبحث الثالث : الصيرورة في صيغ الأفعال .

ــ وأما الخاتمة : فقد ضمنتها أهم ما توصلت إليه من نتائج مـــن خـــلال الدراسة .

وبعد ..

فلعلني بهذه الدراسة أكون قد أبرزت جانبا من جوانب الدرس النحوي متمثلا في معنى الصيرورة وأفعالها واستعمالاتها وأسرارها ، وقد كنت في ذلك مستمدًا العون من الله جلت قدرته ، ومسترشدًا بما انتهى إليه علماؤنا المتقدمون والمتأخرون .

فإن كان توفيق فمن الله ، وإن كان غير ذلك فحسبي سلامة القصد وبذل الجهد . ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (١)

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

د . عوض إسماعيل عبد الله

أستاذ اللغويات المساعد في كلية الدراسات

الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة

---

(١) هود : ٨٨ .

تمهيد

معنى الصيرورة وضابطها

أولا : معنى الصيرورة

الصيرورة : مصدر للفعل صار ـــ يصير ، ومعناه يدور حول الرجوع والانتقال من حال إلى حال أخرى .

جاء في اللسان : " صار الأمر إلى كذا يصير صيراً ومصيراً وصيرورة ، وأصاره ، والصيرورة : مصدر صار يصير ... وصرْ إلى فلان مصيراً كقوله تعالى : ﴿ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [1] [2]

ونلحظ فيما ذكره صاحب اللسان ما يلي :

أولا : أنه ذكر أن الفعل (صار) يتعدى بـ (إلى) ، ولم يتطرق في حديثه عنه إلى كونه ناسخاً من نواسخ الجملة الاسمية .

ثانيا : أنه ذكر من مصادر (صار) : (مصير) ، وقد نص الجوهري على أن (مصير) مصدر (صار) شاذ ، حيث يقول : " وصرت إلى فلان مصيرًا كقوله تعالى : ﴿ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ ، وهو شاذ ، والقياس : مصار مثل : معاش " [3]

تعليق على ما ذكره الجوهري :

إن من كلام العرب ما جاء مطردًا ، وكثر دورانه على ألسنتهم فهذا ما يسمونه قياسيًا، ومنه ما جاء خارجًا عن أقيستهم ، وقلّ دورانه في كلامهم، وهو ما عبروا عنه بالشاذ ، والقرآن الكريم ليس بدعًا من كلام العرب ، فقد نزل بلسانهم ، ووفق طرائقهم في كلامهم ، فاشتمل على الفصيح

---

(١) فاطر : ١٨ .
(٢) اللسان : (ص ي ر) .
(٣) الصحاح ٢ : ٧١٨ .

والأفصح والقليل في الاستعمال والكثير ، كما أنه اشتمل على المطرد في الاستعمال والشاذ عنه ، وإطلاق الشذوذ على ما جاء به القرآن الكريم على غير ما نطق به لسانهم أمر لا يليق ، ويمكن حمل ما جاء من ذلك على مخالفة القياس لا مخالفة الاستعمال وهذا ما عبر عنه السمين الحلبي[١] بأنه شذ قياساً وفصح استعمالاً [٢] .

وقد ذكر الزمخشري [٣] أن الفعل (صار) مصدره : صيرورة ، وصيرًا ، ومصيرًا ولم يحكم عليه بالشذوذ [٤] ، بل عند الحديث عن نظيره وهو (المحيض) قال: المحيض : مصدر يقال : حاضت محيضا ، كقولك : جاء مجيئًا وبات مبيتًا [٥]

وقال الزجاج [٦] عند معنى قوله تعالى:﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ [٧] يقال : حاضت المرأة حيضا ومحاضًا ، ومحيضا ، وعند النحويين : أن المصدر في هذا الباب : المفعِل (بالكسر) ، والمفعَل (بالفتح) جيد ، بالغ فيه يقال : ما في بُرّك مكال ، أي : كيل ، ويجوز: ما فيه مكيل ، قال الشاعر: وهو الراعي :

بُنيت مرافقهن فوق مزلةٍ ... لا يستطيع بها القراد مقيلا [٨]

أي : قيلولة [٩] .

---

(١) هو أبو العباس شهاب الدين بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي من أشهر آثاره الدر المصون في علوم الكتاب المكنون - توفى ٧٥٦هـ . ينظر البغية ١ : ٤٠٢ .

(٢) ينظر الدر المصون ٤ : ١٢٤ ، ١٠ : ٢٧٤ وروح المعاني ١٠ : ٦ .

(٣) هو أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري ، اتصف بالذكاء وجودة القريحة وكان معتزليا مجاهرًا توفى ٥٣٨ هـ . ينظر : البغية ٢ : ٢٧٩ .

(٤) أساس البلاغة ٢ : ٥٦٩ .

(٥) الكشاف ١ : ٤٣٢ .

(٦) إبراهيم بن سري بن سهل أبو إسحاق الزجاج تعلم النحو من المبرد ، كانت له مناقشات مع ثعلب له : إعراب القرآن ، الاشتقاق ، الأمالي ، توفى ٣١١ هـ إنباه الرواة ١ : ١٩٤ .

(٧) البقرة : ٢٢٢ .

(٨) البيت من الكامل ديوانه : ٢٤١ .

(٩) معاني القرآن المنسوب للزجاج ١ : ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، وينظر معاني القرآن للأخفش ١ : ١٨٦ .

وذهب أبو حيان [١] إلى أنه اسم مصدر حيث يقول : " والمصير : اسم مصدر من صار يصير ، وهو مبني على (مفعِل) بكسر العين " [٢]

ومعلوم أنه لا فرق في الدلالة المعنوية بين المصدر واسم المصدر .

ثالثا : أنه ذكر تعديه بالهمزة فقال : (وأصاره) ولم يذكر تعديه بالتضعيف حيث قال : " وفي كلام عميلة الفزاري لعمه وهو ابن عنقاء الفزاري : ما الذي أصارك إلى ما أرى يا عم ؟ قال : بخلك بمالك ، وبخل غيرك من أمثالك ، وصوني أنا وجهي عن مثلهم وتسألك " [٣]

وأما تعديه بالتضعيف فقد نصّ عليه الجوهري [٤] ، والفيروز آبادي [٥] والرازي [٦] . وسيأتي الحديث عن (صيّر) فيما ينصب مفعولين .

ثانيا : ضابطها :

وأقصد بضابطها : المعنى الذي حدده النحاة لها والذي يمكن أن ينضوي تحته أفعال أخرى سوى الفعل الأصلي لها وهو (صار) ، فما جاء من الأفعال منطبقا عليه هذا الضابط ألحقناه بها ، وإلا فلا .

وقد حصر إمام النحاة سيبويه الباب في:كان، وصار ، ومادام ، وليس [٧] وعلق العلامة الرضي [٨] على هذا الحصر قائلا : " لم يذكر سيبويه منها سوى كان ، وصار ، ومادام ، وليس ، .... والظاهر أنها غير محصورة ، وقد يجوز تضمين كثير من الناقصة معنى التامة ، كما تقول : تتم النعمة

---

(١) هو محمد بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي نحوي أديب مفسر مقرئ له الارتشاف ، البحر ، التذييل ، توفي ٧٤٥ . شذرات الذهب ٦ : ١٤٧ .

(٢) البحر ٢ : ١٧٧ ، وينظر تفسير الطبري ٤ : ٢٧٢ .

(٣) اللسان (ص ي ر)

(٤) الصحاح ٢ : ٧١٨ .

(٥) القاموس المحيط ٢ : ٧٦ .

(٦) مختار الصحاح : ٣٧٥ وينظر : المعجم الوسيط : ٥٣١ .

(٧) ينظر : الكتاب ١ : ٧٦ تصنيف وتحقيق د. محمد كاظم البكاء . مؤسسة الرسالة ط ٢٠٠٤

(٨) هو محمد بن الحسن رضي الدين الإستراباذي لقبه نجم الدين مشهور بكتابيه شرح الكافية في النحو ، والشافية في الصرف توفي ٦٨٦ هـ . ينظر : البغية ١ : ٥٦٧ .

بهذا عشرة ، أي : تصير عشرة تامة ، وكمل زيد" عالمًا ، أي : صار عالمًا كاملاً ، قال تعالى : ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [1] أي : صار مثل بشر " [2]

ويفهم التوسع في الباب من كلام سيبويه حيث يقول : " كان ويكون وصار ، ومادام ، وليس ، وما كان نحوهن من الفعل مما لا يستغني عن الخبر " [3]

فكل فعل لا يمكن معه الاستغناء عن المنصوب بعده على أنه خبر متمم للفائدة ، فهو من هذا الباب أي : باب (كان) .

ويفهم من كلام الرضي الاتساع عن طريق آخر هو (التضمين) ، حيث يمكن عن طريقه تحويل الأفعال التامة إلى ناقصة مفيدة معنى الصيرورة الذي خصه الرضي بالذكر ــ كما نرى ــ إذ هو المعنى الوحيد الشائع الذي يمكن حمل كثير من الأفعال عليه .

ويزيد الرضي الباب ضبطا فيقول : " ومعنى : صار زيد" غنيا أن (زيدًا) متصف بصفة الغنى المتصف بصفة الصيرورة ، أي : الحصول بعد أن لم يحصل " [4]

ثم يقول : " فالذي زيد من مرادفات (صار) : آل ، ورجع ، وحال ، وارتد ، كانت كلها في الأصل بمعنى : (رجع) تامًا ، وكذا استحال ، وتحول ، فإنهما كانا في الأصل بمعنى (انتقل) ، وكذا كان أصل (صار) ، فكان حق جميعها أن تستعمل تامة فتتعدى إلى ما هو مصدر لخبرها بـ (إلى) إن عديت ، نحو : صار إلى الغنى ، ثم ضمنت كلها معنى : كان

---

(١) مريم : ١٧ .
(٢) شرح الكافية ٤ : ١٨٣ .
(٣) الكتاب ١ : ٧٦ .
(٤) شرح الكافية ٤ : ١٨٤ وينظر : المقدمة الجزولية : ١٠٣

بعد أن لم يكن ؛ لأن الشخص إذا رجع إلى الفعل وانتقل إليه فذلك الفعل يصير كائنا بعد أن لم يكن " [١] .

ونستخلص من كلام الرضي : أن ضابط الصيرورة الذي يمكن إدراج فعل تحته هو : تحول الشيء من صفة كان عليها إلى صفة أخرى لم يكن عليها من قبل ، وسيزداد الأمر وضوحًا ــ إن شاء الله ــ في المبحث القادم عند الحديث عن أم الباب (صار) .

ويؤكد سعة هذا الباب ابن أبي الربيع [٢] حيث يقول : " وينبغي أن يربط هذا الباب ، فإذا قلت : جعل زيد" يقرأ ، فهو من هذا الباب ، لأن جعل دلت على أن القراءة أخذ فيها ، ولذلك دخلت ، فينبغي أن يقال في (زيد) إنه اسم (جعل) ، (ويقرأ) في موضع خبر لها ، لأن الأصل : زيد يقرأ ، فزيد مبتدأ ، ويقرأ : خبر عن زيد ، وكذلك : طفق زيد يقرأ " [٣]

فيلاحظ أن ابن أبي الربيع أدخل أفعال الشروع التي هي مدرجة ضمن باب أفعال المقاربة في هذا الباب ، والحق معه ، إذ إن ضابط الصيرورة منطبق عليها ، فمعنى جعل زيد" يقرأ ، أي : تحول إلى صفة لم يكن عليها من قبل وهي صفة القراءة ، والفعل محتاج إلى الجملة الخبرية بعده لتمام المعنى فهو من هذا الباب (ناقص مفيد للصيرورة) .

---

(١) شرح الكافية ٤ : ١٨٣ .
(٢) هو أبو الحسين عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله بن أبي الربيع القرشي ولد بأشبيلة ٦١٧هـ وتوفي ٦٨٨هـ ، تنظر ترجمته في البغية ٢ : ١٢٥ .
(٣) البسيط في شرح الجمل ١ : ٦٧٠ .

المبحث الأول

صار ومرادفاتها

وقفة مع (صار) :

صار : هي أم الباب ولأكثرها وروداً في اللسان العربي .

يقول الإمام عبد القاهر [١] في معناها : " وهي للانتقال إما من صفة إلى صفة أخرى نحو : صار زيد غنيا ، أي : انتقل زيد من صفة الفقر إلى صفة الغناء ، فـ (صار) من الأفعال الناقصة تطلب الاسم والخبر ، وزيد : اسم صار ، وغنيا : خبر صار ، وإما من حقيقة إلى حقيقة أخرى نحو : صار الطين خزفا " [٢] .

ويبين الرضي معناها قائلاً : " معنى (صار زيد" غنيا) : أن زيدا متصف بصفة الغنى المتصف بصفة الصيرورة ، أي : الحصول بعد أن لم يحصل " [٣]

ومعنى ذلك أن الفعل (صار) يدل على انتقال الموصوف عن صفته التي كان عليها إلى صفة أخرى ، وقد تكون هذه الصفة في الأمور العارضة كالمثال المذكور : صار زيد" غنيا ، أي تحول من صفة الفقر إلى صفة الغنى ، وقد تكون في الحقائق نحو : صار الطين خزفًا ، أي التحول من حقيقة الطين إلى حقيقة الخزف .

---

(١) هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني ، واضع أصول البلاغة ، أخذ عن أبي علي الفارسي له : دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة ، والجمل وغير ذلك ، ينظر : إنباه الرواة ٢ : ١٨٨ .

(٢) العوامل المائة النحوية في أصول العربية للإمام عبد القاهر . شرح الشيخ خالد الأزهري تحقيق د. البدراوي زهران دار المعارف : ٢٥٧ ، وينظر : شرح الكافية للرضي ٤ : ١٨٣ ، نتائج التحصيل ٣ : ١١٥٦ .

(٣) شرح الكافية ٤ : ١٨٣ .

وقد ذكر صاحب الهمع شرطًا في خبرها هي وما بمعناها ، وكذا (دام وزال) وأخواتها أن لا يكون فعلاً ماضيًا فلا يقال : صار زيد" علِمَ ، وكذا البواقي ، لأنها تفهم أن خبرها معناه ممتد ومتصل إلى وقت الكلام ، والفعل الماضي يفهم الانقطاع وبذا يكون في الكلام تناقض فيفسد [١] .

استعمالها : وقد تستعمل (صار) تامة فتكون بمعنى (ذهب) و (انتقل) لا بمعنى تحوّل ، ويلاحظ فيها ـ حينئذٍ ـ أنها تتعدى بـ (إلى) .

يقول عبد القاهر : " وصار تكون تامة بمعنى (ذهب) و (انتقل) إما من مكان إلى مكان آخر ، وتتعدى بـ (إلى) نحو : صار زيد إلى بلد كذا ، أي : ذهب زيد من بلد كذا إلى بلد كذا ، فـ (صار) هنا تامة ، و (زيد) : اسم صار [٢] ، وإما من ذات إلى ذات نحو : صار زيد من عمرو إلى بكر أي : انتقل من عمرو إلى بكر " [٣]

ومن شواهدها تامة بهذا المعنى في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ [٤] أي : ترد جميع أمور الخلق إليه تعالى يوم القيامة فيقضي بينهم بالعدل [٥] ولم ترد في القرآن الكريم إلا في هذا الموضع [٦].

وقد نص الرضي على أن استعمال (صار) وما بمعناها تامة هو الأصل ، ثم تضمن معنى التحوّل والصيرورة فتكون ناقصة .

---

(١) الهمع للإمام السيوطي ١ : ١١٣ ـ مكتبة الكليات الأزهرية ، وينظر : حاشية الصبان ١ : ٢٢٦ .

(٢) لعله يقصد باسم صار هنا ؛ أي : فاعلها ، لأنها تامة فهي دالة على حدث وزمن .

(٣) العوامل المائة : ٢٥٧ ، وينظر : نتائج التحصيل ٣ : ١١٥٦ .

(٤) الشورى : ٥٣ .

(٥) ينظر : البحر المحيط ٧ : ٥٠٥ ، حاشية الجمل ٤ : ٧٥ .

(٦) ينظر : دراسات لأسلوب القرآن الكريم ٣ : ١ : ٣٨٤ .

يقول الرضي : " فالذي زيد من مرادفات (صـار) : (آل ، ورجـع ، وحال ، وارتد) كانت كلها في الأصل بمعنى (رجع) تامًا ، وكذا (استحال وتحول) فإنهما كانا في الأصل بمعنى (انتقل) ، وكذا كان أصل (صار) ، فكان حق جميعها أن تستعمل تامة فتتعدى إلى ما هو مصدر لخبرها بـ (إلى) ـ إن عديت ـ نحو : صار إلى الغنى ، ثم ضمنت كلهـا معنـى : كان بعد أن لم يكن ... إذ معنى جميعها ناقصة : كان بعد أن لم يكن .."[١]

ثم يقول : " ويجوز استعمال (صار) ومرادفاتها تامة على الأصـل ، قال [٢] :

فصرنا إلى الحسنى ورقّ كلامُها ... ورضّت فذلت صعبةً أيّ إذلال

وقال [٣] :

أيقنت أني لا محالـة ... حيث صار القوم صائـر

وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ [٤] [٥]

ثم يذكر شرط استعمال صار وأخواتها أفعالاً تامة : أن تتعـدى بـ (إلى) أو (على) حيث يقول : " ولابد في التامة أن يليها لفـظ (علـى) و (إلى) ظاهرين أو مقدرين ؛ لأن الرجوع والانتقال من الأمور النسـبية لا تفهم من دون المنتقل عنه ، والمنتقل إليه " [٦]

---

(١) شرح الكافية ٤ : ١٨٤ ، وينظر : التوطئة لأبي علي الشلوبيني : ٢٢٦ ـ ٢٢٧ .

(٢) هو امرؤ القيس ، والبيت من الطويل ، ينظر : ديوانه : ١٣٧ ، شرح الكافية ٤ : ١٨٣ ، معاني الزجاج ٣ : ٣٠٢ .

(٣) هو قس بن ساعدة من أبيات ختم بها إحدى خطبه في الذاهبين الأولين من القرون لما بصائر . ينظر شرح الكافية ٤ : ١٨٣ ـ ١٨٤ .

(٤) الانشقاق ١٤ .

(٥) شرح الكافية ٤ : ١٨٤ .

(٦) المصدر السابق الجزء نفسه والصفحة نفسها .

وعلى أي حال فإن (صار) وردت في اللسان العربي تامة وناقصة ، تامة بمعنى الرجوع والانتقال ، وناقصة بمعنى التحول والصيرورة (كان بعد أن لم يكن) [١]

ولعل الحق مع الرضي حين ذهب إلى أن الأصل في (صار) وأخواتها التمام بدليل أنها لم ترد في القرآن الكريم إلا تامة في قوله تعالى : ﴿ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ [٢] ، وكذلك ما كان بمعناها وهو الفعل (يحور) في قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ [٣] وسيأتي الحديث عنه إن شاء الله .

وقد ذهب بعض الباحثين المحدثين [٤] إلى فصل (صار) عن الأفعال النواسخ محتجًا لذلك بأن (صار) غالبًا لا تدخل على ما ليس أصله المبتدأ والخبر حيث يقول :

" ينبغي أن نفصل (صار) من هذه المجموعة ــ النواسخ ــ لأنها إنما تدخل في الغالب على ما ليس أصله مبتدأ أو خبرًا ؛ لأنك تقول : صار الطين إبريقًا ، وصار الحق باطلاً ، ولو حذفت (صار) من هذين المثالين لكان الكلام : الطين إبريق ، والفقير غني" ، والحق باطل أو الباطل حق وليس هذا بالمقبول ، فليس الطين إبريقًا ، ولا الفقير غنيا ، ولا الحق باطلاً ، ولا الباطل حقا "

ولنا أن نرد عليه فنقول : إن الطين هو المادة الأولية التي يصنع منها الإبريق ، فإذا قلنا : الطين إبريق ، فعلى اعتبار ما سيكون مستقبلا ، أو ما سيصير إليه . وإذا قلنا : صار الغني فقيرًا ، على اعتبار الغنى والفقر

---

(١) السابق ٤ : ١٦٣ .
(٢) الشورى : ٥٣ .
(٣) الانشقاق : ١٤ .
(٤) د . مهدي المخزومي في كتابه في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٧٨ ، ١٧٩ دار الرائد العربي - بيروت سنة ١٩٨٦ .

وصفين لإنسان واحد كان فقيرًا ثم تغير حاله إلى الغنى (كان بعد أن لم يكن) [١] ، وإذا قلنا : صار الباطل حقًا ، فعلى اعتبار أنهما متناقضان ، ولا يمكن أن يجتمعا في وقت واحد ، وإنما المعنى : كان باطلاً ثم صار حقًا ،

أي (كان بعد أن لم يكن) .

ولعل ما ذهب إليه د . المخزومي من انفصال (صار) عن الأفعال الناسخة هو الذي دفعه إلى القول بعد ذلك بأن المنصوب بعدها يعرب تمييزًا ، لا خبرًا ولا مفعولاً . يقول في هذا :

" والمنصوب بعدها ـ فيما يبدو لي ـ ليس خبرًا ولا مفعولاً ، وإنما هو تمييز وظيفته إماطة إبهام في نسبة الصيرورة إلى الفاعل ، فإذا قيل : تحول الطين ، أو صار ... كان في الأمر إبهام ، وموضعه نسبة التحول إلى الطين ، فأتى بكلمة (إبريقا) لتزيل ذلك الإبهام ، كما أزيل الإبهام عن النسبة بكلمة (عسلا) في قولنا : امتلأ الوعاء عسلاً ، فنسبة الامتلاء إلى الإناء مبهمة تفتقر إلى ما يوضحها ويميط الإبهام عنها ، فإذا قيل عسلاً ، بان المعنى وزال الإبهام " [٢]

وأنا لست مع د . مخزومي في هذا الاتجاه ، فإن التمييز في مثل : امتلأ الإناء عسلاً ، يمكن أن يجر بالباء أو بـ (من) فيقال : امتلأ الإناء بالعسل أو من العسل . ولا ينطبق هذا على المثال المذكور فلا يقال : صار الطين من إبريق ، أو صار الطين بالإبريق ، ويمكن أن يضاف إلى ذلك أن الأصل في : صار الطين إبريقا ، أي : أن الطين تحول من صورة كذا إلى صورة كذا ، فصورة الطين استحالت إلى صورة الإبريق ، فليس

---

(١) هذه عبارة العلامة الرضي ٤ : ١٨٤ .

(٢) في النحو العربي نقد وتوجيه : ١٧٩ .

في المثال إبهام يحتاج إلى تفسير وتبيين بالتمييز .

والقياس في (كان) وأخواتها عامة أنها لا تعمل ؛ لأنها تدل على تقييد الخبر بالزمان الذي ثبت له فقط ، فهي ليست أفعالاً حقيقة ، ورفعها المبتدأ بعدها تشبيها بالفاعل ، وسمي اسمها حقيقة ، وفاعلها مجازًا ، ونصب الخبر تشبيها له بالمفعول به وهذا مذهب البصريين ، وذهب الفراء إلى أنه منصوب تشبيها بالحال ، وقال بقية الكوفيين هو منصوب على الحال [١]

وأنا أميل إلى ما ذهب إليه البصريون من كون المنصوب بعد هذه الأفعال شبيها بالمفعول به لأنه قد يقع ضميرًا ، ومعرفة ، وجامدًا ، ولأنه لا يكون فضلة فيستغني عنه ، وليست هذه الأمور من شأن الحال .

وهذا اختيار الشيخ خالد [٢] حيث قال : " والصحيح مذهب البصريين لوروده مضمرًا ومعرفة وجامدًا ولكونه لا يستغنى عنه وليس ذلك شأن الحال " [٣] .

وقد ذكرت ــ سابقا ــ أن (صار) تأتي تامة ، وناقصة ، وإذا كانت تامة تعدت بـ (إلى) أو (على) كما نص على ذلك ابن يعيش [٤] ، والرضي [٥]

---

(١) ينظر : حاشية الصبان ١ : ٢٢٦ ، شرح التصريح ١ : ١٨٤ ، حاشية يس على شرح الفاكهي على القطر ٢ : ٦ .

(٢) هو خالد بن عبد الله أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري ولد بجرجا من صعيد مصر وعاش بالقاهرة له التصريح بمضمون التوضيح وغيره . ينظر : الضوء اللامع ٣ : ١٧١ .

(٣) شرح التصريح ١ : ١٨٤ .

(٤) هو موفق الدين بن يعيش بن علي بن يعيش من تصانيفه : شرح المفصل لابن الحاجب ، شرح تصريف ابن جني . توفي ٦٤٣ . ينظر ترجمته في إنباه الرواة ٤ : ٤٥ . ورايه في المفصل ٧ : ١٠٣ . .

(٥) شرح الكافية ٤ : ١٨٤ .

فمن شواهدها تامة متعدية بـــ (إلى) قوله تعالى : ﴿ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ [١]

ومن شواهدها متعدية بـــ (على) قوله ﷺ : " فألحق الولد بالذي صارت عليه القرعة " [٢] .

---

(١) الشورى : ٥٣ .

(٢) رواه أبو داود ـ في كتاب الطلاق ٢ : ٧٠١ نشر وتوزيع محمد علي السيد حمص ـ سوريا . .

مرادفات (صار)

ولما مرادفات (صار) :

فهي أفعال أشبهتها في معناها فعملت عملها ـ إلحاقًا بها ـ فرفعت الاسم ونصبت الخبر .

وقد حصرها ابن الحاجب [١] في ستة أفعال هي : آض ، وعاد ، وغدا، وراح ، وجاء ، وقعد [٢] وزاد عليها الرضي : آل ، ورجع ، وصار ، وارتد ، واستحال وتحول [٣] .

وذكر ابن مالك [٤] أنها ثمانية هي : آض ، وعاد ، وآل ، ورجع ، وصار ، واستحال ، وتحول ، وارتد [٥] .

ثم حكم على إلحاق : (جاء) و (قعد) بالندرة ، ثم عاد فقال : " والأصح ألا يلحق بها (آل) ، ولا (قعد) مطلقا ، وألا يجعل من هذا الباب غدا وراح" [٦]

وذكر السيوطي [٧] أنها عشرة أفعال هي : آض ، وعاد ، ورجع ، وآل ، وصار ، واستحال ، وارتد ، وتحول ، وجاء ، وقعد " [٨] .

---

(١) هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس المقرئ الأصولي الفقيه المالكي النحوي له : الكافية في النحو والشافية في الصرف توفي بالإسكندرية ٦٤٦هـ. ينظر : البغية ٢ : ١٣٤ .

(٢) ينظر : شرح الكافية للرضي ٤ : ١٨١ .

(٣) شرح الكافية ٤ : ١٨٣ .

(٤) هو أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك الطائي ، صاحب الألفية والمصنفات العديدة في النحو ومن أشهرها تسهيل الفوائد وشرحه ، والكافية الشافية وغير ذلك . توفي ٦٧٢هـ ينظر : شذرات الذهب ٥ : ٣٣٩ .

(٥) التسهيل:٥٣ ـ ٥٤ .

(٦) المصدر نفسه:٥٤ .

(٧) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن ابي بكر جلال الدين أبو الفضل ولد ونشأ في القاهرة يتيمًا صاحب المصنفات العديدة في شتى الفنون توفي ٩١١هـ ينظر : الأعلام ٤ : ٧١ ـ ٧٢ .

(٨) الهمع ١ : ١١٢ .

وكذلك الأشموني [١] نص على أنها عشرة ، ولكنه لم يـذكر (آل) ولا (جاء) وذكر مكانهما (غدا ، وراح) [٢] .

واقتصر بعضهم على أربعة أفعال هي : غدا ، وأضى ، وراح ، وعاد ، وحكم على استعمالها بالاطراد [٣] .

وعلى هذا .. فمجموع الأفعال الملحقة بـ (صار) معنى وعملاً اثنـا عشر فعلاً ما بين القبول لها جميعًا أو قبول بعضها ورد الآخر .

وقد أعجبني ما حدّ به أبو علي الشلوبيني [٤] هذا الباب ، عند حديثـه عن إلحاق هذه الأفعال بـ (صار) حيث قال : " وإنما حدُّ أفعال هذا الباب ألا تستغني بالاسم الذي بعدها عن الخبر " [٥]

أي أن كل فعل من الأفعال الملحقة بـ (صار) يعرب المنصوب بعـده خبرًا له على أنه ناقص ناسخ مادام محتاجًا إلى هـذا المنصـوب ، ولـم يستغن عنه ، فإن أمكن الاستغناء عنه فالفعل ـ حينئـذ ـ تـام ويعـرب المنصوب بعده حالا .

وهذا الضابط ينسحب ـ كذلك ـ على ما استعمل من (كان وأخواتهـا بمعنى صار) من نحو : كان ، وأصبح ، وأمسى .. الخ . وسيأتي الحديث عنه إن شاء الله مفصلا .

---

(١) هو نور الدين أبو الحسن على الأشموني نحوي أصولي مقرئ توفى بين العشرين إلى الثلاثين وتسعمائة . ينظر : معجم المؤلفين ٧ : ٣٨ .

(٢) شرح الأشموني ١ : ٢٢٩ .

(٣) ينظر : البسيط في شرح جمل الزجاجي لابن أبي الربيع ١ : ٦٦٨ ، والإرشاد إلى علم الإعراب للكيشي : ١٤٦ .

(٤) هو عمر بن محمد بن عمر الأستاذ أبو علي الإشبيلي المعروف بالشلوبين كان إمام عصره في العربية بلا مدافع . له التوطئة وشرحان على الجزولية ت ٦٤٥هـ . تنظر ترجمته في البغية ٢ : ٢٢٤ ـ ٢٢٥ .

(٥) التوطئة : ٢٢٧ .

ولعلنا على ذكر ــ أيضا ــ مما حد به الرضي استعمال هذه الأفعال بمعنى (صار) ، وهو تضمنها معنى : كان بعد أن لم يكن ، أي : تحول الشيء من صفة كان عليها إلى صفة أخرى لم يكن عليها من قبل .

وعلى كل حال ، فإن إلحاق هذه الأفعال بـ (صار) مبناه السماع لا القياس ، نص على ذلك الرضي إذ يقول :

" وليس إلحاق مثل هذه الأفعال بـ (صار) قياسًا بل سماع ، ألا ترى أن نحو : (انتقل) لا يلحق به مع أنه بمعنى تحول " [١] .

وها نحن ــ الآن ــ نفصل القول في هذه الأفعال من حيث معانيها واستعمالاتها ، وموقف النحاة منها من حيث الإلحاق بـ (صار) أو عدمه.

١ ــ آض :

معناها : جاء في اللسان : " آض يئيض أيضًا ، سار وعاد ، وآض على أهله : رجع إليهم، قال ابن دريد : وفعلت كذا ، وكذا أيضًا من هذا ، أي : رجعت إليه وعدت ، وهو مصدر (آض : يئيض : أيضا) ، أي : رجع ، قال الليث : الأيض : صيرورة الشيء شيئًا غيره ، وآض كذا ، أي : صار ، يقال : آض سواد شعره بياضًا ، وقولهم : أيضا ، كأنه مأخوذ من آض يئيض أي : عاد يعود " [٢]

استعمالها : نلاحظ فيما ذكره صاحب اللسان أن (آض) تستعمل مثل (صار) تامة ، وناقصة ، فتستعمل تامة متعدية بحرف الجر (إلى) كما مثل بـ : آض إلى أهله ، وناقصة كما مثل بـ : آض سواد شعره بياضا .

ومن النحاة من لم يلحق (آض) بـ (صار) ، وجعل ما بعدها منصوبًا على الحالية ، معللاً ذلك بأنها تتعدى بحرف الجر حيث يقال : آض إلى

---

(١) شرح الكافية ٤ : ١٨٤ .
(٢) اللسان (أي ض) .

كذا ، أي : رجع إليه [١] .

ويمكن أن يرد على من ذهب إلى ذلك ، بأن أفعال الباب كلها بما فيها أم الباب (صار) تتعدى بحرف الجر ، فهل معنى ذلك أنها وأخواتها بسبب تعديها بحرف الجر لا تدل على الصيرورة .

ويرد على ذلك ــ أيضا ــ بورودها في اللسان العربي ناصبة الخبر بنفسها من غير أن تتعدى بحرف الجر كما في قول الشاعر [٢] :

ربيته حتى إذا تمعـــــــددا

وآض نهدًا كالحصان أجردا

وقوله [٣] :

له شربتان بالنهار وأربع من الليـــل حتى آض مُخذًا مورّمـــــــا

وقوله [٤] :

وبالمحض حتى آض جعدًا عنطنطا إذا قام ساوى غاربه الفحل غاربه

ويستأنس لهذا بقول البحتري [٥] :

آض بث الغرامِ حزنًا فهل يُعْـــ ـقبُ حُزنُ الغرام فينا ســـــــروره

---

(١) ينظر : التذييل والتكميل لأبي حيان ٤ : ١٦٢ تحقيق د . حسن هنداوي ، نتائج التحصيل ٣ : ١١٧٣ لمحمد بن أبي بكر الدلائي تحقيق د. مصطفى العربي .

(٢) هو العجاج يشكر عقوق ابنه ، وتمعدد الغلام : شب وغلظ ، ونهدًا : جسيمًا جهيرا والأجرد من الخيل : السابق . ينظر : المحتسب ٢ : ٣١٠ ، الهمع ١ : ١١٢ ، نتائج التحصيل ٣ : ١١٧٣ .

(٣) هو طرفة بن العبد ، والبيت من الطويل ، وهو من مقطوعة يهجو فيها عبد عمرو بن بشر ، وأنه يشرب اللبن مرتين بالنهار وأربعًا بالليل حتى يصير بطنه منتفخًا . ينظر ديوانه : ٧٠ شرح مهدي ناصر ، البسيط في شرح الجمل ١ : ٦٦٨ .

(٤) هو فرعان التميمي ، وهو من الطويل ، والعنطنط : طويل الجسم ، والمحض : اللبن الخالص ، والغارب : على الظهر والسنام . اللسان (جعد) ، الأشموني ١ : ٢٢٩ .

(٥) البيت من الخفيف ، وهو من قصيدة يمدح فيها إسماعيل بن بلبل ينظر ديوانه ٢ : ٩١٠ .

وقد وردت (آض) تامة بمعنى (رجع) مكتفية بـالمرفوع ، ومتعدية بحرف الجر المقدر ، كما في حديث جابر رضي الله عنه في كيفية صلاة الكسوف وفيه :" ثم تقدم وتقدم الناس معه ، حتى قام في مقامه فانصرف حين انصرف وقد آضت الشمس ، فقال : يا أيها الناس إنما الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، وإنهما لا ينكسفان لموت أحد من الناس فإذا رأيتم شيئًا من ذلك فصلوا ... " [1] الحديث .

قال الإمام النووي معلقًا : " ومعناه : رجعت إلى حالها الأول قبل الكسوف ، وهو من : آض يئيض إذا رجع " [2]

ومن هذا قول الشاعر [3] :

قطعت إذا ما الآل آض كأنه ... سيوف تنحّى تارة ثم تلتقي

وقوله [4] :

فآض كما آض الحسام ترادفت

عليه القيون ، فهو أبيض مخذمُ

واستعمال الفعل (آض) في هذه الشواهد وغيرها تامة على تقدير تعديها بحرف الجر المقدر ، إذ التقدير فيها جميعها (آض إلى) أي : رجع .

واستعمالها ناصبة لما بعدها بنفسها يلحقها بـ (صار) على الضابط المذكور ـ آنفا ـ للصيرورة وهو تحول الشيء إلى صورة لم يكن عليها

---

(١) رواه الإمام مسلم في صلاة الكسوف ٦ : ٢٠٩ .

(٢) المصدر السابق الجزء نفسه والصفحة نفسها .

(٣) هو كعب بن زهير ، والبيت من الطويل ، جاء في اللسان : " أبو عبيد : اضت أي : صارت ورجعت ، وأنشد قول كعب يذكر أرضا قطعها : قطعت إذا ما الآل .. " اللسان : (أيضا) وبحثت في الديوان عن البيت فلم أعثر عليه . والبيت من شواهد شرح المفصل ٧ : ٩٠ .

(٤) هو البحتري ، والبيت من الطويل ، وهو من قصيدة يمدح فيها الفتح بن خاقان . القيون جمع قين وهو الحداد . المخذم : القاطع من السيوف ينظر ديوانه ٣ : ١٩٢٩ .

ثم كان ، واحتياجها إلى المنصوب الذي بعدها وعدم استغنائها عنه يؤيد هذا الاستعمال .

٢ ــ عاد :

ومعناه كما ذكر صاحب اللسان [١] : " وعاد إليه يعود عودة وعوداً : رجع ، وفي المثل : العود أحمد ... قال سيبويه : رجع عوده على بدئه ، تريد : أنه لم يقطع ذهابه حتى وصله برجوعه ، إنما أردت أنه رجع في حاضرته ، أي : نقض مجيئه برجوعه ، وقد يكون أن يقطع مجيئه ثم يرجع ، فتقول : رجعت عودي على بدئي ، أي : رجعت كما جئت ، فالمجئ موصول به الرجوع ، فهو بدء ، والرجوع عود .... وقد يرد بمعنى : صار .

ومنه حديث معاذ قال له النبي ﷺ : " أعدت فتاناً يا معاذ " [٢] أي : أصرت ، ومنه حديث خزيمة : " عاد لها النقاد مجرنثما " [٣] أي : صار ، ومنه حديث كعب : " وددت أن هذا اللبن يعود قطراناً ــ أي : يصير ــ فقيل له : لم ذلك ؟ قال : تتبعت قريش" أذناب الإبل وتركوا الجماعات"[٤]

استعمالها :

بالنظر فيما ذكره صاحب اللسان نلاحظ أن الفعل (عاد) له استعمالان :

أحدهما : أنه بمعنى الرجوع إلى شيء كان عليه من قبل وهذا هو أصلها ، ويمكن أن يستشهد لهذا المعنى بقوله تعالى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ ﴾ [٥] ، وقوله تعالى : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا

---

(١) اللسان مادة (ع ود) ، وينظر القاموس المحيط ١ : ٣٣٠ .
(٢) ينظر : النهاية في غريب الحديث ٣ : ٣١٦ ، لسان العرب (عود) ، تاج العروس (عود)
(٣) هكذا في كتاب النهاية ورواية الطبراني مجمرثما بالثاء ، ومجرنثما : أي مجتمعا والثماء : بكسر الثون صغار الغنم ، وإنما اجتمعت من الجدب لأنها لم تجد المرعى . ينظر المعجم الأوسط ٧ : ٣٦٠ واللسان:جرثم
(٤) النهاية في غريب الحديث ٣ : ٣١٧ .
(٥) المائدة : ٩٥ .

يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴾ [١] فالمعنى في الآية الأولى ومن عاد إلى قتل الصيد بعد التحريم [٢]

وفي الثانية وإن يعودوا إلى قتال الرسول ﷺ [٣] والشواهد على هذا الاستعمال كثيرة جدًا في اللسان العربي وهي ــ حينئذ ــ تامة [٤] .

والثاني : استعمالها بمعنى (صار)

حيث تُضَمَّنُ معنى الصيرورة فتكون مثل (صار) في المعنى والعمل وهذا الاستعمال أشار إليه صاحب اللسان مستشهدًا عليه بالأحاديث التي ذكرها .

وأشار إليه السيوطي حين قال : " يقولون : عاد فلان شيخًا ، وهو لم يكن شيخًا قط ، وعاد الماءُ آجنًا ، وهو لم يكن آجنًا فيعود ، قال تعالى : ﴿ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ [٥] فقال : (عاد) ولم يكن عرجونًا قبل ، وقال تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام : ﴿ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم ﴾ [٦] ولم يكن في ملتهم قط " [٧]

فـ (عاد) هنا مستعملة بمعنى (صار) أي : تحول الشيء إلى حالة لم يكن عليها من قبل وهذا هو ضابط الصيرورة .

وقد أنكر بعض النحاة استعمال (عاد) بمعنى صار معللاً لذلك بأنها تتعدى بحرف الجر [٨]، ونصب ما بعدها على الحالية .

---

(١) الأنفال : ٣٨ .
(٢) النسفي ١ : ٣٠٣ .
(٣) المصدر نفسه ٢ : ١٠٣ .
(٤) ينظر : الإرشاد إلى علم الإعراب : ١٥١ .
(٥) يس : ٣٩ .
(٦) الأعراف : ٨٩ .
(٧) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١ : ٣٣٠ ـ ٣٣١ ، وينظر : البسيط في شرح جمل الزجاجي ١ : ٦٦٨ .
(٨) ينظر : التذييل والتكميل ٤ : ١٦٢ ، نتائج التحصيل ٣ : ١١٧٣ .

وإنني أقول : إن مجرد التعدي بحرف الجر ليس مانعًا من أن تكون (عاد) بمعنى (صار) فقد رأيناها تعدت بحرف الجر (الكاف) في قوله تعالى : ﴿ كَالْعَرْجُونِ ﴾ ، ربما (في) في قوله تعالى : ﴿ فِي مِلَّتِكُمْ ﴾ وهي فيهما صريحة في معنى الصيرورة وقد صرّح الشيخ الجمل بدلالتها على الصيرورة في قوله تعالى : ﴿ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ [١] فقال : " إذ المعنى : لتصيرُن في ملتنا بعد أن لم تكونوا " [٢].

ويقوى هذا أنها وردت ناصبة الخبر بعدها بنفسها ـ كما رأينا ـ في الأحاديث سالفة الذكر ، وكما في قول الشاعر [٣] :

فكان مُضلّى من هديت برشده ... فلله من مغوٍ عاد بالرشد آمرا

أي : صار آمرا .

وقوله [٤] :

تعد لكم جزر الجزور رماحُنا ... ويرجعن بالأكباد منكسرات

فـ جزر الجزور خبر (تعد) لتعرفه وهو الوجه [٥] .

وقوله [٦] :

---

(١) الأعراف : ٨٨ .

(٢) حاشية الجمل ٢ : ١٦٥ .

(٣) نسبه صاحب الدرر إلى الصحابي سواد بن قارب ، وذلك من قصيدة ذكر فيها قصته مع (ربينة) من الجن وكان كاهنا فأتاه (ربينة) ثلاث ليال ، وفي كل ليلة ينشده رجزًا يبشره برسول الله ﷺ ولم يصرّح إلا في الثالثة فهداه الله للإسلام وأسلم بسببه . والشاهد أن (عاد) بمعنى (صار) والبيت من الطويل وهو من شواهد الهمع ١ : ١١٢ ، نتائج التحصيل ٣ : ١١٧٣ هامش رقم (٢) ، التذييل ٤ : ١٦٢ ، الأشموني ١ : ٢٢٩ ، الدرر ٢ : ٥٠ ، ٧٢ .

(٤) غير معروف ، وهو من الطويل ، وهو من شواهد الهمع ١ : ١١٢ ، التذييل ٤ : ١٦١ ، المساعد ١ : ٢٥٨ .

(٥) نتائج التحصيل ٣ : ١١٧٣ .

(٦) هو حسان بن ثابت ، والبيت من الطويل ، يرد فيها على الزبرقان بن بدر . ينظر ديوانه : ٢٢٧ .

بني دارم لا تفخروا إن فخركم ... يعود وبالاً عند ذكر المكـــارم

أي : يصير وبالاً .

وقوله [١] :

عاد السواد بياضًا في مفارقه ... لا مرحباه بذا اللون الذي ردفـا

أي : صار السواد بياضا .

وقوله [٢] :

بان الشباب فودعاه حميـــدا ... هل ما ترى خلقا يعود جديـــدا

أي : يصير جديدا .

إلى غير ذلك من الشواهد ــ وهي كثيرة جـدا ــ التـي وردت فيهـا (عاد) ناصبة ما بعدها بنفسها من غير أن تتعدى بحرف الجر وهي في هذا مثل (صار) في المعنى والعمل .

٣ ــ تحول :

معناها : جاء في اللسان : " تحول عن الشيء : زال عنه إلى غيره . وفي الحديث : " فاحتالتهم الشياطين " [٣] أي : نقلتهم من حال إلى حال .

وتحول : " تنقل من موضع إلى موضع آخر " [٤]

وجاء في مختار الصحاح : " والتحول : التنقل من موضع إلى موضع" [٥]

استعمالها :

نلاحظ ــ من خلال ما ذكره صاحب اللسان والمختار ــ أنهم ذكـروا استعمالها محصورًا في أمرين :

---

(١) هو كعب بن زهير ، والبيت من البسيط . ديوانه : ٧٣ .

(٢) هو جرير ، والبيت من الكامل . ديوانه : ١٦٩ .

(٣) رواه مسلم بلفظ (فاجتالتهم) عن عياض بن حمار : " وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم " واجتالتهم : ساقتهم إلى الباطل . صحيح مسلم ١٧ : ١٩٦ .

(٤) اللسان : (ح و ل) .

(٥) مختار الصحاح : ١٦٣ .

أحدهما : فيه معنى الصيرورة ، وهو الانتقال من حال إلى حال .

ويكون هذا الاستعمال في المحسوسات نحو : تحول الطين خزفًا ، وفي المعنويات نحو : تحول الأمل واقعًا .

والثاني : بعيد عن معنى الصيرورة وهو التنقل من مكان إلى مكان آخر وتستعمل غالبًا في المحسوسات فيقال : تحولّ على من القرية إلى المدينة وقد تستعمل في المعنويات تحول الخير من فلان إلى فلان .

ومن شواهد إلحاق (تحول) بـ (صار) معنى وعملاً قول امرئ القيس :

وبُدِّلْتُ قرحًا داميًا بعد صحة فيالك من نُعْمَى تحوّلْنَ أبؤسا [1]

فـ (نون) النسوة اسم (تحول) و (أبؤسًا) خبره .

ومنه قول الفرزدق :

رأيت ابن المراغة حين زكى تحوّل غيرَ لحيته حمارا [2]

وقوله :

وابن المراغة قد تحوّل راهبًا متبرئسًا لتمسكنٍ وسؤال [3]

وقول الشاعر :

لا يؤنسنّك سؤل" عيق عنك فكم بؤسٍ تحول نعمى أنست النقما [4]

ومما يرجح ـ عندي ـ استعمال (تحول) في هذه الشواهد بمعنى (صار) أن المنصوب بعدها ليس فضلة ، وعليه فإعرابه خبرًا لـ (تحول)

---

(١) البيت من الطويل ، وهو في ديوانه : ١١٢ ، وكان امرؤ القيس حلف أن لا يأكل لحمًا حتى يأخذ بثأر أبيه الذي قتله المنذر . فخرج إلى قيصر الروم مستنصرًا به على المنذر ، وكان لقيصر ابنة عشقته فوشى به المنذر عند قيصر فأرسل إليه رسولاً بحلة مسمومة فألبسه إياها حتى تقرّح لحمه ومات . ينظر : المغني بحاشية الأمير ١ : ٢٢٣ ، الهمع ١ : ١٠١٢ ، الكافية الشافية ١ : ١٦٧ ، الأشموني ١ : ٢٢٩ .

(٢) البيت من الوافر . زكى : كبر سنه ، يقصد أن جريرًا لما كبر سنه صار كالحمار إلا أن الحمار ليس له لحية . ديوانه : ٣٠٩ .

(٣) البيت من الكامل ، متبرئسًا : متبتلاً معتكفًا للعبادة . ديوانه : ٤٩٦ .

(٤) البيت من البسيط ، ولم أعثر على قائله . ينظر شرح التسهيل ١ : ٣٤٧ .

أقوى من إعرابه حالاً كما أن ضابط الضرورة واضح فيها .

وقد جاء (تحول) تاماً اكتفى بفاعله ومعناه ــ حينئذٍ ــ تغيَّر .

ومن هذا قول عنترة :

وإذا الأمور تحولت ألفيتهـــم ... عصم الهوالك ساعة الزلزال [١]

وقول حسان :

إن هم أقاموا حلّ فوق رءوسهم ... أبدًا وإن يتحولوا يتحـــول [٢]

٤ ــ استحال :

جاء في معناها في اللسان : " وحالت القوس واستحالت ، بمعنى ، أي : انقلبت عن حالها التي غمزت عليها وحصل في قابها اعوجاج .... واستحال لما أحاله ، أي : صار محالا " [٣]

وفي أساس البلاغة : " وحال الشيء واستحال : تغيّر " [٤]

استعمالها :

نلحظ من خلال ما ذكر في اللسان وغيره أن (استحال) تكون بمعنى (صار) فتكون ناقصة ، وبمعنى تغيَّر فتكون (تامة) ، وقد نص النحاة على إلحاقها بـ (صار) معنى وعملاً مستشهدين على ذلك بقوله ﷺ في فضل عمر بن الخطاب : " بينا أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو فنزعت منها ما شاء الله ، ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع بها ذنوبا أو ذنوبين وفي نزعه ــ والله يغفر له ــ ضعف" ، ثمَّ استحالت غربا فأخذها ابن الخطاب فلم أر

---

(١) البيت من الكامل . ديوانه : ٢٣٨ .

(٢) البيت من الكامل . من أبيات يهجو بها ثقيفا ويصفهم باللؤم المقيم فيهم ديوانه : ٢٠٤

(٣) اللسان (ح و ل) ، ينظر : الصحاح للجوهري ٥ : ١٦٧٩ ـ ١٦٨١ ، ومختار الصحاح : ١٦٣ .

(٤) أساس البلاغة ١ : ٢٢٤ .

عبقرياً من الناس ينزع نزع عمر بن الخطاب حتى ضرب الناس بعطن " [١]

والشاهد في الحديث : استحالت غربا ، أي : استحالت الدلو غربا . أي : صارت دلواً عظيمة .

واستشهدوا بقول الشاعر [٢] :

إن العداوة تستحيل مودة بتدارك الهفوات بالحسنات

فـ (تستحيل) بمعنى (تصير) أي : إن العداوة تصير مودة بمقابلة السيئات بالحسنات .

وبالضابط الذي ذكرناه ـ آنفا ـ للصيرورة فإن هذا الفعل رغم ندرة شواهده في اللسان العربي إلا أن إفادته الصيرورة معنى وعملاً واضحة جدًا . ففي الحديث اسم (استحال) ضمير مستتر تقديره (هي) و(غربا) خبره ، وفي بيت الشعر اسم (تستحيل) ضمير مستتر تقديره (هي) ، و (مودة) خبره .

حتى إن ابن يعيش عند حديثه عن معنى (صار) وأتى بمثال له : صار الطين خزفا ، فسر صار في المثال بقوله أي " استحال إلى ذلك " [٣]

---

(١) رواه مسلم في فضائل عمر رضي الله عنه ١٥/١٦٠ ، النسائي في مناقب الصحابة ٧/٢٩٩ ، القليب : البئر التي لم تطو ، الذنوب : الدلو ، والغرب : الدلو العظيمة التي تتخذ من جلد الثور ، والعبقري : سيد القوم وكبيرهم وقويهم ، العطن : مبرك الإبل حول الماء ، ضرب لذلك مثلا لاتساع الناس في زمن عمر وما فتح الله عليهم من الأمصار والحديث من شواهد : الكافية للشافية ١/١٦٧ ، الأشموني ١/٢٢٩ . الهمع ١/١١٢ ، شرح التسهيل ١/٣٤٧ .

(٢) لم يعرف ، والبيت من الكامل ، وهو من شواهد شرح التسهيل ١ : ٣٤٧ ، الهمع ١ : ١١٢ ، حاشية يس على الفاكهي ٢ : ٤ .

(٣) شرح المفصل ٧ : ١٠٣ .

٥ ــ حار :

قال صاحب اللسان في معناه : " الحور : الرجوع عن الشيء وإلى الشيء ، حار إلى الشيء ، وعنه ، حورًا ومحارًا ومحارة وحؤورًا رجع عنه وإليه ... ومنه الحديث : (من دعا رجلاً بالكفر وليس كذلك إلا حار عليه) [١] ، ومنه حديث عائشة (فغسلتها ثم أجففتها ثم أحرتها إليه ..) [٢] ... وكل شيء تغير من حال إلى حال فقد حار يحور حورًا قال لبيد [٣]:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادًا بعد إذ هو ساطع " [٤]؟

استعمالها :

نلحظ من كلام ابن منظور أن (حار) لها استعمالان :

أحدهما : تكون متعدية بحرف الجر (إلى) ، أو (على) ، وهي ــ حينئذ ــ بمعنى رجع ، قال الإمام النووي في شرح الحديث السابق : " وكذا حار عليه ، وهو معنى : رجعت عليه ، أي : رجع عليه الكفر فباء وحار ورجع بمعنى واحد " [٥]

وهذا المعنى نص عليه الجوهري واقتصر عليه حيث قال : " حار يحور حورًا وحؤورا : رجع " [٦]

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ [٧] قال البيضاوي

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم عن أبي ذر . كتاب الإيمان ٢ : ٤٩ .

(٢) ينظر أبو داود كتاب الطهارة ١ : ٢٦٨ .

(٣) البيت من الطويل وهو في ديوانه : ١١١ ، والشاهد فيه استعمال (حار) بمعنى صار أي : تحول الشيء من صورة كان عليها إلى صورة أخرى جديدة ، ينظر : الدرر شرح الكافية الشافية ١ : ١٦٧ ، الأشموني ١ : ٢٢٩ ، التذييل ٤ : ١٦٢ ، نتائج التحصيل ٣ : ١١٧٤ ، المساعد ١ : ٢٥٩ .

(٤) اللسان : (حور) .

(٥) شرح النووي على صحيح مسلم ٢ : ٥٠ .

(٦) الصحاح ٢ : ٦٣٨ .

(٧) الانشقاق : ١٤ .

" لن يحور : لن يرجع إلى الله تعالى " [١] فسر الحور بالرجوع ، وقدّر حرف الجر المعدّى به الفعل بـ (إلى) وعن ابن عباس : ما كنت أعلم ما معنى يحور حتى سمعت أعرابية تقول لابنتها : حوري أي : ارجعي[٢]

والثاني : أنها تكون بمعنى (صار) فترفع الاسم وتنصب الخبر ، وهو ما أشار إليه ابن منظور بقوله : " وكل شيء تغير من حال إلى حال فقد حار يحور حورًا " واستشهد لهذا المعنى بقول لبيد السابق .

ومن شواهد استعمالها ـ أيضا ـ قول الراعي النميري [٣] :

فقد طال أيام الصفاء عليهـــــم وأي صفاء لا يحور تغاويـــــا

ومما يستأنس به قول أبي العلاء المعرّي [٤] :

أرى الحيرة البيضاء حارت قصورها خلاءً ، ولم تثبت لكسرى المدائـــن

٦ ـ رجع :

معناها : تحدث صاحب اللسان عن معناها فقال : " رجع : يرجع رجعًا ورجوعًا ، ورُجعى ، ورجعانًا ، ومرجعًا ، ومَرْجعة : انصرف ... وفي التنزيل : ﴿ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ . لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ [٥] ... ارجعون . أي : رُدّوني إلى الدنيا [٦]

استعمالها :

اقتصر ابن منظور في الحديث عن معنى (رجع) ـ كما نرى ـ على معنيين اثنين فهي تدور حول معنى : الانصراف ، والرد . ولم يتحدث لا

---

(١) تفسير البيضاوي ٥ : ٤٦٨ ، وينظر : حاشية الجمل ٤ : ٥١٠ .
(٢) الكشاف ٦ : ٣٤٣ .
(٣) البيت من الطويل . ديوانه : ٢٨٧ والتغاوي : أصله التجمع على الشر ، ومقصود به هنا الكدر
(٤) البيت من الطويل . ديوانه : ١٥٢ .
(٥) المؤمنون : ٩٩ ، ١٠٠ .
(٦) اللسان : (ر ج ع) ، وينظر : أساس البلاغة ١ : ٣٣٩ ، تاج اللغة وصحاح العربية ٣ : ١٢١٧ ، مختار الصحاح : ٢٣٤ .

تصريحًا ولا تلميحًا عن كونها بمعنى (صار) ، أي : تحول الشيء بعدها من صفة إلى صفة أخرى .

وقد استشهد النحاة على مجئ (رجع) بمعنى (صار) رافعة للاسم ناصبة للخبر بقوله ﷺ : " لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض " [١] ، وبقول الشاعر [٢] :

قد يرجع المرءُ بعد المقت ذا مقة ... بالحلم ، فادرأ به بغضاءَ ذي إحن

وقوله [٣] :

تعد فيكم جزر الجزور وماحنا ... ويرجعن بالأكباد منكسرات

وإن كنت أرى أن (رجع) هنا الأقرب فيها أن تكون على بابها وليست مضمنة معنى (صار) ، بدليل أنه يمكن الاستغناء عن (منكسرات) فيقال : ويرجعن بالأكباد ، أي : أن الرماح تغرس في البطون وتعود بالأكباد ، وعليه فـ (منكسرات) حال من الرماح أي : تعود بالأكباد بهذه الهيئة .

ولكنها في الحديث الشريف يظهر معنى الصيرورة فيها حيث إنها متممة للمعنى ولا يمكن الاستغناء عنها إذ لا يجوز أن يقال : لا ترجعوا بعدي ، من غير أن يذكر لفظ (كفارا) وإن كان لا يبعد ـ أيضا ـ أن يكون (كفارا) حالاً مؤسسة ، ولكن الأصل ـ كما هو معلوم ـ فضلية الحال ، فكونها خبرًا لـ (ترجعوا) بمعنى (تتحولوا) أقرب في المعنى والإعراب . وهي في البيت كذلك .

---

(١) أخرجه البخاري ٧ : ٧٠٩ ـ ٧١٠ كتاب المغازي ، باب حجة الوداع ، ومسلم ٢ : ٥٠٥ كتاب الإيمان باب معنى قوله ﷺ (لا ترجعوا بعدي كفارا) والحديث من شواهد : الكافية الشافية ١ : ١٦٧ ، المساعد ١ : ٢٥٨ ، التذييل ٤ : ١٦٢ ، الهمع ١ : ١١٢ ، الأشموني ١ : ٢٢٩ .

(٢) ينظر : التذييل ٤ : ١٦٢ .

(٣) ينظر : الهمع ١ : ١١٢ ، التذييل والتكميل ٤ : ١٦١ ، المساعد ١ : ٢٥٨ .

٧ ــ ارتد :

معناه : جاء في اللسان : " وقد ارتد ، وارتد عنه ؛ تحول ، جاء في التنزيل : ﴿ ومن يرتدد منكم عن دينه ﴾ [١] ، الاسم : الردة ، ومنه الردة عن الإسلام ، أي : الرجوع عنه ، وارتد فلان عن دينه ، إذا كفر بعد إسلامه " [٢] .

وفي الصحاح : " والارتداد : الرجوع ، ومنه المرتد " [٣] .

استعمالها :

يفهم من كلام ابن منظور أن (ارتد) لها استعمالان :

أحدهما : غير متعدية بحرف الجر ولعله يقصد بذلك التي بمعنى (صار)

والثاني : متعدية بحرف الجر (عن) ، مع أنها مستعملة في القرآن الكريم متعدية بحرف الجر (على) قال تعالى : ﴿ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [٤] وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم ﴾ [٥]

وقد وردت (ارتد) بمعنى (صار) صراحة في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ [٦]

هي الآية الوحيدة التي استشهد بها النحاة على أن (ارتد) بمعنى صار ، و (بصيرا) منصوب على أنه خبر لها [٧] .

---

(١) البقرة : ٢١٧ .
(٢) اللسان (ردد) .
(٣) الصحاح للجوهري ٢ : ٤٧٣ وينظر : أساس البلاغة ١ : ٣٤٧ .
(٤) الكهف : ٦٤ .
(٥) محمد : ٢٥ .
(٦) يوسف : ٩٦ .
(٧) ينظر : شرح التسهيل ١ : ٣٤٧ ، الكافية الشافية ١ : ١٦٧ ، التذييل والتكميل ٤ : ١٦٣ ، الهمع ١ : ١١٢ ، نتائج التحصيل ٣ : ١١٧٥ .

وقد ذهب مكي [١] إلى أن (بصيرا) حال [٢] ، وصحح أبو حيان هذا الوجه حيث قال : " ارتد : عده بعضهم من أخوات (كان) ، والصحيح أنها ليست من أخواتها ، فانتصب (بصيرًا) على الحال ، والمعنى : أنه رجع إلى حالته الأولى من سلامة البصر " [٣] .

وعند حديث الزمخشري عن قوله تعالى : ﴿ يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ [٤] ذكر أن (بصيرًا) خبر لـ (يأت) على أنها بمعنى (صار) ويؤكد ذلك ﴿ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ وذكر وجها آخر : أنها حال ، ويؤكده قوله تعالى : ﴿ وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [٥] أي : يأتني لي ويأتني آله أجمعين [٦]

ثم يقول : " فَارْتَدَّ بَصِيرًا : فرجع بصيرًا ، يقال : رده فارتد ، إذا ارتجعه " [٧]

وعلى ذلك فإن (بصيرا) تحتمل الأمرين : الحالية وهو الواضح من كلام المفسرين ، والخبرية ، كما نص على ذلك النحاة .

ولي كنت أرجح أن (ارتد) هنا بمعنى (صار) لأنه نصب (بصيرًا) بنفسه ، ولأنه مطاوع للفعل (ردّ) والفعل (ردّ) كما سنعرف ـ إن شاء الله ـ فعل أصيل من الأفعال المفيدة للصيرورة الناصبة لمفعولين [٨]

---

(١) هو مكي بن أبي طالب القيسي المقرئ أصله من القيروان له مشكل إعراب القرآن ت ٤٣٧هـ تنظر ترجمته في إنباه الرواة ٣ : ٣١٣ .
(٢) مشكل إعراب القرآن : ٣٧٤ .
(٣) البحر ٥ : ٣٤٠ .
(٤) يوسف : ٩٣ .
(٥) يوسف ٩٣ .
(٦) الكشاف ٣ : ٣٢٣ ، وينظر تفسير النسفي ٢ : ٢٣٦ .
(٧) الكشاف ٣ : ٣٢٤ ، وينظر : الدر المصون ٦ : ٥٥٧ ، حاشية الجمل ٢ : ٤٨١ ، حاشية الصاوي على الجلالين ٢ : ٢٤١ دراسات لأسلوب القرآن ٣ : ١ : ٣٨٤ ..
(٨) ينظر : شرح التسهيل ١ : ٣٤٧ .

كما أن نصب (بصيرًا) على الخبرية لـ (ارتد) يؤيد معنى الصيرورة من حيث إنه لا يمكن الاستغناء عنه في تمام المعنى إذ لا يصح أن يقال (ألقاه على وجهه فارتد) ومعلوم أن الحال الأصل فيها أن تكون فضلة ، فعدم الاستغناء عن (بصيرًا) في تمام المعنى يؤيد معنى الصيرورة في (ارتد) ، ثم إن المعنى على الصيرورة واضح ولا يحتاج إلى تأويل .

ولكني ألمح فرقًا بين (صار) و (ارتد) ، فـ (صار) تفيد : تحول الشيء من حالة إلى حالة لم يكن عليها من قبل ، وأما ارتد : فإنها تفيد تحول الشيء إلى حالة كان عليها من قبل كما هو واضح في الآية المستشهد بها ، ومنه في المعنى : الارتداد عن الإسلام إلى حال الكفر قبله قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ﴾ [1] ، والرجوع على نفس الطريق المسلوك ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ [2]

٨ ــ آل :

معناه : قال صاحب اللسان : الأول : الرجوع ، آل الشيء يؤول أولاً ومآلاً : رجع ، وأول إليه الشيء : رجعه ، وآلت عن الشيء : ارتددت ، وفي الحديث : " من صام الدهر فلا صام ولا آل " [3] أي : لا رجع إلى خير ... ويقال : طبخت النبيذ حتى آل إلى الثلث أو الربع ، أي : رجع [4]

وجاء في أساس البلاغة : " وطبخت الدواء حتى آل المنّان منه إلى مَنٍ واحد " [5]

---

(١) المائدة : ٥٤ .
(٢) الكهف : ٦٤ .
(٣) أخرجه أحمد من حديث مطرف بن عبد الله ٤ : ٢٦ والرواية فيه (ولا أفطر) .
(٤) اللسان (أول) .
(٥) أساس البلاغة ١ : ٣٩ .

وفي الصحاح : " وآل : أي رجع ، يقال طبخت الشرب فآل إلى قدر كذا وكذا أي : رجع " [١]

استعمالها : لم نلحظ فيما ذكره صاحب اللسان وغيره استعمال (آل) ناقصة بمعنى (صار) وإنما نصوا على استعمالها تامة بمعنى (رجع) .

ولم أر النص على استعمالها بمعنى (صار) صراحة إلا في المعجم الوسيط حيث جاء فيه " آل إليه أولا ، وإيالاً ، وأيلولة ، ومآلا : رجع وصار " [٢] .

وقد نص على استعمالها بمعنى (صار) من النحاة ابن أبي الربيع [٣] وابن مالك [٤] والرضي [٥] والسيوطي [٦] .

وبعد أن نص ابن مالك على استعمالها بهذا المعنى عاد فقال : " والأصح ألا تلحق بها (آل) " [٧] ذكر ذلك ولم يعلل لهذا التصحيح ، ويبدو أنه نظر إلى أصل استعمالها وهو كونها بمعنى (رجع) تامة ، وما بعدها يكون منصوبًا على الحالية .

ولكن الرضي يعلل لاستعمالها هي وأخواتها بمعنى (صار) فيقول : " فكان حق جميعها أن تستعمل تامة فتتعدى إلى ما هو مصدر لخبرها بـ(إلى) إن عديت نحو : صار إلى الغنى ، ثم ضمنت كلها معنى : كان بعد أن لم يكن ؛ لأن الشخص إذا رجع إلى الفعل وانتقل إليه ، فلذلك الفعل يصير كائنا بعد أن لم يكن .... إذ معنى جميعها ناقصة كان بعد أن لم يكن " [٨]

---

(١) الصحاح للجوهري ٤ : ١٦٢٨ ، وينظر : مختار الصحاح : ٣٣ .
(٢) المعجم الوسيط : ٣٣ ، وينظر : المعجم الوجيز : ٣٠ .
(٣) ينظر : سبط في شرح الجمل ١ : ٦٧٠ .
(٤) التسهيل ٥٣ .
(٥) شرح الكافية ٤ : ١٨٣ .
(٦) الهمع ١ : ١١٢ .
(٧) التسهيل : ٥٤ .
(٨) شرح الكافية ٤ : ١٨٣ بتصرف .

ومن شواهد استعمال (آل) بمعنى (صار) قوله :

وعروبٍ غير فاحشـــــــــة ... ملكتني ودها حقبـــــــا
ثم آلت لا تكلمنـــــــــــا ... كل حيٍّ معقبٌ غضبا [1]

وقال ابن عقيل عن البيت : " فلا حجة فيه لاحتمال كون (آلت) بمعنى (حلفت) (ولا تكلمنا) الجواب " [2] ولكن الاحتمال لا يسقط جـواز كونهـا بمعنى (صار) .

ومن ورودها مستعملة بمعنى (صار) قول النابغة الذبياني :

شوازب كالأجلام قد آل بُرْمُها ... سماحيق صُفْرًا في تليلٍ وفائلِ [3]

ويستأنس لهذا بقول البحتري :

آل فلسيُّكم غداة بحثنا عنـــه ... فَلْسًا، وقيمة الفَلْسِ فَلْـــــسُ [4]

وقد مثل لها ابن عقيل بقوله : آل زيدٌ عالمًا [5] .

٩ ــ قعد :

معناها :

جاء في اللسان : " الفراء : العرب تقول : قعد فلان يشتمني بمعنى : طفق ، وجعل ، وأنشد لبعض بني عامر [6] :

لا يقنع الجارية الخضاب

---

(١) غير معروف قائله ، والبيت من المديد ، ينظر : التذييل والتكميل ٤ : ١٦٢ ، نتائج التحصيل ٣ : ١١٧٣ الهمع ١ : ١١٢ .
(٢) المساعد ١/٢٦٠ ، نتائج التحصيل ٣ : ١١٧٣ .
(٣) من الطويل ، والشوازب جمع شازب وهو الضامر ، الأجلام جمع جلم وهو المقراض والرم : بقية المخ ، والسماحيق جمع سمحوق وهو الطريق الدقيق ديوانه : ٩٣ .
(٤) من الخفيف ، من قصيدة يهجو فيها ابن الفلس . ديوانه : ٢ : ٤٥٦ .
(٥) المساعد ١ : ٢٥٨ .
(٦) الأركاب : جمع ركب وهو العانة ، وقيل : الفرج نفسه ، والرجز في شرح التسهيل ١ : ٣٤٨ ، التذييل ٤ : ١٦٤ ، نتائج التحصيل ٣ : ١١٧٦ ، اللسان (ق ع د).

ولا الوشاحان ولا الجلباب
من دون أن تلتقي الأركاب
ويقعد الأير له لعـــــاب

وحكى عن ابن الأعرابي : حدد شفرته حتى قعدت كأنها حربة ، أي : صارت ، وقال ثوبك لا تقعد تطير به الريح ، أي : لا تصير الريح طائرة به " [1] .

ويفهم من كلام صاحب اللسان أن (قعد) لها معنيان :

أحدهما : بمعنى : الشروع في الحدث والأخذ فيه مثل (جعل وأخـذ) وإن كان ابن أبي الربيع قد أدرج هذه الأفعال ضمن الأفعال المفيدة الصيرورة . كما مر من قبل [2] .

والثاني : أنها بمعنى (صار) كما حكاه عن ابن الأعرابي .

استعمالها :

نص النحاة [3] على استعمال (قعد) بمعنى صار ، ولم يذكروا شـــاهدًا على هذا الاستعمال إلا المثال المذكور آنفا وهو : أرهـــف [4] شـفرته [5] حتى قعدت كأنها حربة . أي : حتى صارت ، قال ابن مالك : " يمكن أن يكون منه قول الشاعر [6] :

ما يَقْسِمُ الله أقبلْ غير مبتئسٍ منه ، وأقعد كريمًا ناعم البال " [7]

---

(١) اللسان : (ق ع د) .
(٢) ينظر : البسيط في شرح الجمل ١ : ٦٧٠ ، والبحث في (ضابط الصيرورة) .
(٣) ينظر : التسهيل : ٥٣ ، الكافية الشافية ١ : ١٦٧ ، التذييل ٤ : ١٦٤ ، نتائج التحصيل ٣ : ١١٧٦ الأشموني ١ : ٢٢٩ .
(٤) رهف سيف : رقته كأرهفه . القاموس (رهف) .
(٥) الشفرة : السكين العظيم وما عرض من الحديد وحدد . القاموس (شفر) .
(٦) هو حسان بن ثابت ، والبيت من البسيط ، ينظر : ديوانه ١٩٢ ، وهو من شواهد : شرح التسهيل ١ : ٣٤٨ ، التذييل ٤ : ١٦٥ .
(٧) شرح التسهيل ١ : ٣٤٨ ، وينظر : التذييل ٤ : ١٦٥ .

وذهب ابن الحاجب إلى أن (قعد) لا يطرد في هذا المعنى والعمل ، إلا في هذا الموضع ، أي : إذا كان الخبر معها مصدرًا بـ (كأن) ، يقول ابن الحاجب : " وأما قعد فلا يطرد ، وإن قلنا بالطرد فإنما يطرد في مثل هذا الموضع الذي استعمل فيه أولا ، يعني : قول الأعرابي ، فلا يقال : قعد كاتبًا ، بمعنى صار ، بل يقال : قعد كأنه سلطان ، لكونه مثل : قعدت كأنها حربة " [١] واستحسن الرضي هذا الاتجاه [٢] ، وكذلك أبو علي الشلوبيني [٣] ، وأبو حيان [٤] ، وأما ابن مالك فقد نص على استعمالها بالندرة [٥] .

بينما ذهب بعضهم إلى اطراده كالفراء [٦] وجعل منه الرجز السابق : لا يقنع الجارية الخضاب .. الخ .

والكسائي وقد حكى : قعد لا يَسْأَلُ حاجة إلا قضاها [٧] بمعنى : صار

وممن ذهب إلى اطراد استعماله ــ أيضا ــ الزمخشري حيث قال عند تفسير قوله تعالى : ﴿ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ [٨] :

"فتقعد: من قولهم : شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة ، بمعنى : صارت، يعني فتصير جامعًا على نفسك الذم وما يتبعه من الهلاك من إلهك ، والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له ، .....

---

(١) ينظر : شرح الكافية ٤ : ١٨٨ .
(٢) المصدر السابق ، الجزء نفسه والصفحة نفسها .
(٣) ينظر : التوطئة : ٢٢٧ ، الجزولية : ١٠٤ .
(٤) التذييل والتكميل ٤ : ١٦٤ والبسيط في شرح الجمل ١ : ٦٦٩ .
(٥) التسهيل : ٥٣ .
(٦) نسبه إليه صاحب نتائج التحصيل ٣ : ١١٧٦ ولم أعثر عليه في معاني القرآن ..
(٧) معاني القرآن للكسائي : ١٨٢ ، وينظر البحر : ٦ : ١٩ ـ ٢٠ ، شرح التسهيل ٣٤٨/١ دراسات لأسلوب القرآن ٣ : ١ : ٣٨٥ .
(٨) الإسراء : ٢٢ .

وعند قوله تعالى : ﴿ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [١] قال ـ أيضا ـ : "فتقعد ملومًا : فتصير ملوما" [٢] .

وأنا أميل إلى ما ذهب إليه ابن الحاجب واستحسنه الرضي ، وتبناه أبو علي الشلوبيني من أن (قعد) لا تستعمل بمعنى (صار) إلا في مثل هذه المواضع ، أي : إذا كان خبرها مصدراً بـ (كأن) لأن معنى الصيرورة والانتقال من حال إلى حال واضح فيها . وفيما عدا ذلك فإن نصب ما بعدها على الحالية أظهر وآكد .

يقول الطاهر بن عاشور في معنى : " فتقعد مذمومًا مخذولاً " : " وتقعد مستعار لمعنى المكث والدوام ، أريد بهذه الاستعارة تجديد معنى النهي إلى أنه تعريض بالمشركين ؛ لأنهم متلبسون بالذم والخذلان فإن لم تقلعوا عن الشرك داموا في الذل والخذلان " [٣] .

ويمكن أن ينصرف معنى المكث والاستمرار ـ أيضا ـ على ما استشهد به ابن مالك من قول حسان للسابق وأقعد كريمًا ناعم البال .

فمن الممكن أن يكون المعنى وأستمر على هذه الحالة ماكثا فيها ، راضيا بها .

وحكى ابن عصفور [٤] قول بعض العرب : فلان قعد يتهكم بعرض فلان ، ونقل قولهم إن (قعد) هنا زائدة [٥] ، ووافق أبو حيان القول بزيادتها قائلا : " ولا معنى لـ (قعد) ـ هنا ـ إلا الزيادة " [٦]

---

(١) الإسراء : ٢٩ .
(٢) الكشاف ٣ : ٥٠٦ بتصرف وينظر : تفسير البيضاوي ٣ : ٢٩٦ ، ٣٠٠ .
(٣) التحرير والتنوير ١٥ : ٦٤ .
(٤) هو أبو الحسن بن علي بن مؤمن الأشبيلي له المغرب ، وشرح جمل الزجاجي ، وشرح المحسب توفى ٦٦٣ . ينظر : شذرات الذهب ٥ : ٣٣٠ .
(٥) ينظر : شرح الجمل ١ : ٣٨٣ .
(٦) التذييل والتكميل ٤ : ١٦٥ .

وإن كنت أرى ــ أيضا ــ أن معناها المكث والدوام على هذه الحالة ، ويؤيد هذا استعمال الفعل نفسه بنفس المعنى في اللغة الدارجة حيث يقولون فلان قعد يذاكر ، قعد يتكلم .. الخ قاصدين بذلك الدوام والاستمرار على هذه الحالة .

١٠ ــ جاء :

جاء في اللسان قوله : " وما جاءت حاجتك ، أي : ما صارت ..... وإنما صُيِّر (جاء) بمنزلة (كان) في هذا الحرف لأنه بمنزلة المثل " [١]

استعمالها :

وقد وردت (جاء) مستعملة بمعنى (صار) عند النحاة في هذا الموضع الذي ذكره صاحب اللسان ، وهو موضع حكاه سيبويه عن بعض العرب حيث يقول : " ومثل قولهم : من كان أخاك ؟ قول العرب : ما جاءت حاجتك ؟ كأنه قال : ما صارت حاجتك ، ولكنه أدخل التأنيث على (ما) حيث كانت (الحاجة) كما قال بعض العرب : من كانت أمك ؟ حيث أوقع (من) على مؤنث ، وإنما صُيِّر (جاء) بمنزلة (كان) في هذا الحرف ؛ لأنه بمنزلة المثل " [٢]

وقد نص ابن الحاجب على طرد استعمالها في مثل : جاء البرقفيزين [٣] أي : صار، ووافقه العلامة الرضي على هذا ، وردّ على من ذهب إلى إعراب (قفيزين) حالاً ، فقال : " وليس بشيء لأنه لا يراد أن (البَر) جاء في حال كونه قفيزين ولا معنى له " [٤] .

---

(١) اللسان : (ج ي أ) بتصرف .
(٢) الكتاب ١ : ٨٤ .
(٣) شرح الكافية ٤ : ١٨٥ ، وينظر : نتائج التحصيل ٣ : ١١٧٥ .
(٤) المصدر السابق الجزء نفسه والصفحة نفسها ، وينظر : التذييل ٤ : ١٦٤ .

والحق مع الرضي فإن معنى الصيرورة في المثال واضح من حيث إن البر صار قفيزين ، ولا معنى للحالية فيه ، كما أنه لا يمكن الاستغناء عنه في المثال إذ هو ليس بفضلة .

ويعلل ابن يعيش استعمال جاء بمعنى (صار) فيقول : " كما استعملوا (جاء) في معنى (صار) في قولهم : ما جاءت حاجتك ؛ لأن (جاء) تفيد الحركة والانتقال كما كانت (صار) كذلك " [١] .

وقد صرّح الرضي باستعمال (جاء) بمعنى (صار) في المثال الذي حكاه سيبويه حيث قال : " ومن الملحقات : (جاء) في : ما جاءت حاجتك؟ أي : ما كانت ؟ ..... ويروى برفع (حاجتك) على أنها اسم (جاءت) و(ما) خبرها، وأول من قال ذلك الخوارج قالوه لابن عباس رضي الله عنهما حين جاء إليهم رسولاً من علي رضي الله عنه " [٢]

وقد نص ابن مالك على أن استعمال (جاء) بهذا المعنى نادر ، كما ذكر ذلك في (قعد) حيث قال : " وندر الإلحاق بـ (صار) في : ما جاءت حاجتك ، وقعدت كأنها حربة " [٣] .

وذهب أبو علي الشلوبيني إلى أن (جاء) و (قعد) لا يخرجان عن هذا الاستعمال الذي وردا فيه [٤]

ويقول صاحب البسيط : " ولا أعلم خلافاً أن (جاء) لم تستعمل بمعنى (صار) إلا في هذا الموضع وحده " [٥] .

---

(١) شرح المفصل ٧ : ١٠٢ .
(٢) شرح الكافية ٤ : ١٨٧ وينظر : شرح المفصل ٧ : ٩١ ، والهمع ١ : ١١٢ ، الكافية الشافية ١ : ١٦٨ ، شرح الأشموني ١ : ٢٢٩ .
(٣) التسهيل : ٥٣ .
(٤) التوطئة : ٢٢٧ وينظر : المقدمة الجزولية : ١٠٤ .
(٥) البسيط في شرح جمل الزجاجي ١ : ٦٦٩ .

وأنا أميل إلى هذا الاتجاه من باب ربط الباب وعدم التوسع فيه بحيث يرتكب في سبيله تمحل وتكلف في التأويل ، فالأولى أن يقتصر على ما جاء فيه من أمثلة لوضوح معنى الصيرورة فيها .

وأما غير ذلك فحمل الإعراب في المنصوب على الحالية أفضل لفضليتها وجواز الاستغناء عنها .

١١ ، ١٢ : غدا ، وراح :

جاء في اللسان في غدا : " غدا : الغدوة بالضم البكرة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس ... والغدو نقيض الرواح " [١]

وجاء في راح : " ... والرواح : نقيض الصباح ، وهو اسم للوقت ، وقيل : الرواح : العشي وقيل الرواح : من لدن زوال الشمس إلى الليل ، يقال : راحوا يفعلون كذا وكذا ، ورحنا رواحًا يعني السير بالعشي ... وهو نقيض قولك : غدا يغدو غدوا " [٢]

استعمالهما :

الأصل في هذين الفعلين أنهما يستعملان تامين بمعنى أن الحدث وقع في زمن الغداة وفي زمن الرواح فإذا قلت : غدا عبد الله ضاحكا ، وراح مسرورًا ، أي حدث ضحكه في الغداة وسروره في الرواح ، والمنصوب بعدهما حال . وهذا ما عليه الجمهور يقول ابن مالك :

" وألحق قوم [٣] بأفعال هذا الباب (غدا وراح) ، وقد يستشهد على ذلك

---

(١) اللسان : (غدو) بتصرف .

(٢) المصدر السابق : (روح) بتصرف .

(٣) هذا الإلحاق منسوب في المساعد ١ : ٢٥٨ إلى الزمخشري والعكبري ، ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ٧ : ٩٠ وفي الهمع منسوب أيضا إلى ابن عصفور والجزولي . ينظر الجزولية : ١٠٤ ، شرح الجمل لابن عصفور ١ : ٤١٦ ، الهمع ١ : ١١٢ .

بقول ابن مسعود رضي الله عنه: " اغد عالمًا أو متعلمًا ولا تكن إمعة "[١] وبقول النبي ﷺ : " لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانا "[٢] والصحيح أنهما ليسا من هذا الباب ، وإنما المنصوب بعدهما حال إذ لا يوجد إلا نكرة "[٣]

ويقول أبو حيان : " وربما وقعا بمعنى (صار) كغدا ضاحكا ، أو منطلقاً ، أي : صار في حال ضحك وانطلاق ، ويحتاج دعوى النقصان إلى سماع "[٤] .

وقال ــ أيضا ــ بعد ذكر الحديث السابق ، وقول ابن مسعود رضي الله عنه : " ولا حجة في ذلك لاحتمال كون المنصوب بعدهما حالاً ، سيما ولا توجد إلا نكرة "[٥]

وقد ناقش الرضي القول بأنهما لا يكونان إلا تامين ، بأنهما إذا دلا على الدخول في هذين الوقتين فكان (غدا) بمعنى مشى في الغداة ، وراح بمعنى رجع في الرواح فهما تامان ، وإذا كان بمعنى يكون في الغداة والرواح فهما ناقصان .

يقول الرضي : " إذا كان (غدا) بمعنى مشى في الغداة ، كقوله تعالى : ﴿ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ ﴾[٦] وراح بمعنى رجع في الرواح وهو ما بعد الزوال إلى الليل ، نحو : راح إلى بيته فلا ريب في تمامهما ،

---

(١) ينظر : كشف الخفاء ١/١٤٨ ـ ١٤٩ ، والطبراني باب العلم ٢/٣٤ ـ ٣٦ .
(٢) ينظر : الترمذي كتاب الزهد ـ باب التوكل واليقين ٤ : ٥ وينظر : الكافية الشافية ١/١٦٨ .
(٣) شرح التسهيل ١ : ٣٤٨ .
(٤) ينظر : التذييل والتكميل ٤ : ١٦٦ .
(٥) المصدر السابق ٤ : ١٦٥ .
(٦) القلم : ٢٢ .

وأما نحو قوله [١] :

ولا خالفٍ داريةٍ متغـــزلٍ يروح ويغدو داهنًا يتكحلُ

فإن كان بمعنى : يدخل في الرواح والغداة فهما ــ أيضا ــ تامـــان ، والمنصوب بعدهما حال ، وإن كان بمعنى يكون في الغداة والرواح فهمـــا ناقصان ، فلا منع ــ إذن ــ من كونهما ناقصين " [٢]

وواضح من كلام الرضي أنه يحمل هذين الفعلين على الأفعال الدالـــة على توقيت معين وهي : أصبح وظل وبات وأمسى وأضحى ، فإنهـــا إذا دلت على الدخول في الوقت الدالة عليه كانت تامة . وكان المنصوب بعدها حالاً نحو : أصبحنا نشطين ، إذا كان المقصود بـــ (أصبح) الدخول فـــي وقت الصبح أي : دخلنا في وقت الصبح كانت تامة ، و (نشطين) على هذا المعنى حال ، وإذا كان المقصود بها مطلق الزمان كانت بمعنى (صـــار) أي : صرنا نشطين ، وكذلك الحال في (غدا وراح) ، إذا كان معناهما في هذين الوقتين كانا تامين وما بعدهما حال ، وإذا كان المقصود بهما مطلق الزمان كانا ناقصين ومحمولين على الفعل (صار) معنى وعملا .

وعلى هذا الاتجاه كان أبو علي الشلوبيني : حيث إنه لا يمنـــع كـــون (غدا وراح) بمعنى (صار) متى انطبق عليهما ضابط الضرورة عنـــده ، وهو عدم الاستغناء عن الخبر . حيث يقول :

" ولا يمتنع أن تكون (غدا وصار) من هذا الباب وإن لم يكونا بمعنـــى (صار) ؛ لأنه لا فرق بين غدا وراح ، وأصبح ، وأمسى ، وأضحى ، إذ كان كل واحد منهما معناه : الكون في الزمان الذي يشاركه في الحرف ،

---

(١) هو الشنفري ، والبيت من لاميته المشهورة خالف : لا خير فيه ، الداري : المقيم في داره ، المتغزل : المتفرغ للنساء ، ينفي عن نفسه الكسل ومغازلة النساء والتشبه بهن . ينظر ديوانه : ٦١

(٢) شرح الكافية ٤ : ١٨٤ وينظر : دراسات في أسلوب القرآن ٣ : ١ : ٣٨٥ .

فكما أنك إذا قلت : كان زيد في المساء ، أو الصباح ، أو الضحى ، أو الضحاء ، لم يستقل دون خبره ، وإنما حد هذا الباب ألا تستغني بالاسم الذي بعدهما عن الخبر " [١]

وقد نص الأشموني على إلحاق هذين الفعلين بـ (صار) مستشهدا بالحديث النبوي السابق من غير تعليق [٢]

ولكني أميل إلى ما ذهب إليه الرضي وأبو علي الشلوبيني من استعمالهما بمعنى (صار) إذا قصد بهما الدلالة على مطلق الوقت لا على وقت الغدو والرواح خاصة ويؤيد هذا مجئ خبرهما معرفة نحو : غدا زيد أخاك ، وراح محمد صديقك [٣]

وذكر أبو حيان أن الفراء ألحق بهما : أسحر وأفجر وأظهر ثم قال : " ولم يذكر شاهدا على ذلك " [٤] ، ومنع هذا الإلحاق ابن مالك [٥] .

والحق مع ابن مالك ، وإلا لو جاز لنا إلحاق : أسحر وأفجر وأظهر ، لجاز أيضا إلحاق : أعشى ، وأعصر ، وأغرب، وهذا كله ليس مسموعًا ، فالأولى ضبط الباب بالوارد في اللسان العربي بالضوابط المذكورة للإلحاق

وقد جمع ابن مالك هذه الأفعال الملحقة بـ (صار) في قوله [٦] :

واجعل كـ (صار) ما بمعناه ورد ... آض، رجع، عاد ، استحال ، وقعد

وحار ، وارتد ، كذا تحولا ... وهكذا غدا ، وراح جعلا

وألحقوا بهنَّ : جاءت حاجتك ... من بعد (ما) فاصرف لها عنايتك

---

(١) التوطئة : ٢٢٧ .
(٢) ينظر : شرح الأشموني ١ : ٢٢٢ ، الإرشاد إلى علم الإعراب الكيشي : ١٤٦ .
(٣) ينظر : شرح المفصل لابن يعيش ٧ : ٩٠ .
(٤) ينظر : التذييل والتكميل ٤ : ١٦٧ ، نتائج التحصيل ٣ : ١١٧٨ .
(٥) التسهيل : ٥٤ .
(٦) ينظر : شرح الكافية الشافية ١ : ١٦٦ .

مرادفات (صار) من (كان) وأخواتها

نص النحاة على أن هناك أفعالاً من الأفعال الناسخة الناقصة الداخلة على الجملة الاسمية ، الرافعة للمبتدأ والناصبة للخبر تكون بمعنى (صار) ، فتدل على التحول والانتقال من حالة إلى أخرى ، وهذه الأفعال هي : كان ، وأصبح ، وأمسى ، وأضحى ، وظل [١] ، واختلفوا في (بات)

أولا : كان :

الأصل في (كان) الدلالة على دوام مضمون الجملة إلى زمن النطق بها دون تعرض لانقطاع ؛ ولذا قيل في نحو قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ [٢] أي : كان في الأزل ولم يزل ، فهي مفيدة معنى الاستمرار ، وبهذا جزم ابن معطٍ [٣] في ألفيته حيث يقول : فكان للماضي الذي انقطعا [٤] .

ومن هذا قول الشاعر [٥] :

ولكنّي مضيتُ ولمْ أجـــــذّف ... وكان الصبرُ عادة أولينـــــا

فالصبر عادة الأولين ولم يزل .

وقول الآخر [٦] :

---

(١) ينظر : شرح التسهيل ١ : ٣٤٥ ، الكافية الشافية ١ : ١٦٨ ، البديع في علم العربية ١ : ٢ : ٤٦٠ ، المساعد ١ : ٢٥٦ ، نتائج التحصيل ٣ : ١١٦٤ ، التذييل والتكميل ٤ : ١٥٦ .

(٢) الأحزاب : ٢٧ .

(٣) هو أبو الحسين يحيى زين الدين بن عبد المعطي الزواوي سمع من الجزولي وابن عساكر ومن مصنفاته الألفية المشهورة . توفي بالقاهرة ٦٢٨هـ . ينظر البغية ٢ : ٣٤٢ .

(٤) ينظر : شرح ألفية بن معطٍ ٢ : ٨٦٤ .

(٥) غير معروف ، والبيت من الوافر ، والتجديف : استقلال النعمة . ينظر : شرح التسهيل ١ : ٣٤٥ .

(٦) هو أبو جندب الهذلي ، والبيت من الطويل ، والمضوفة : أي أمر ضافه اي نزل به وشق عليه ينظر : ديوان الهذليين ٣ : ٩٢ ، شرح المفصل لابن يعيش ١٠ : ٨١ .

وكنت إذا جارى دعا لمضوفة أشمرّ حتى ينْصُفَ الساقُ مئزري

أي : كنت كذلك ولم أزل .

فإن قصد انقطاع الزمن جئ بقرينة تدل على ذلك [١] نحو قوله تعالى : ﴿ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ [٢] أن العداوة فيما بينكم كانت في الماضي ثم انقطع زمانها بتأليف الله جل وعلا بين قلوبكم .

ونحو قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴾ [٣] فالقرينة في الآية يدل عليها السياق وهو القصص في زمن مضى .

ونحو قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ﴾ [٤] ، فالفعل (كان) في الآية دال على حدوث المضي المنقطع بدليل وجود الظرف (من قبل) أي كنتم تستخفون من الناس حين دخلتم الإسلام خشية العذاب لعدم انتشاره في هذا الوقت ، ثم حدث المنُّ من الله بأن أعز دينكم [٥] .

وقد تأتي دالة على الحال [٦] كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴾ [٧] .

ولم يرتض الراغب الأصفهاني هذا الاستعمال حيث قال : " وقوله (كنتم خير أمة) ، فقد قيل : معنى (كنتم) معنى الحال وليس ذلك بشيء ، بل إنما كان ذلك إشارة إلى أنكم كنتم كذلك في تقدير الله تعالى [٨] .

---

(١) ينظر : شرح التسهيل ١ : ٣٤٥ .
(٢) آل عمران : ١٠٣ .
(٣) النمل ٤٨ .
(٤) النساء ٩٤ .
(٥) ينظر . البحر ٣ : ٣٤٣ بتصرف .
(٦) ينظر : البرهان ٤ : ١٢٧ .
(٧) النساء : ١٠٣ .
(٨) مفردات غريب القرآن ٢ : ٥٧٣ .

وقد تأتي دالة على الاستقبال كقوله تعالى : ﴿ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ﴾ [١] ، وهذا اليوم مستقبل .

يقول صاحب التحرير والتنوير : " وذكر الفعل (كان) للدلالة على تمكن الخبر من المخبر عنه ، وإلا فإن شر ذلك اليوم ليس واقعًا في الماضي وإنما يقع بعد مستقبل بعيد ، ويجوز أن يجعل ذلك من التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي تنبيها على تحقق وقوعه " [٢] .

ويلخص ابن الشجري ما تدل عليه كان من الزمان فيقول : " واعلم أن الزمان الذي تدل عليه (كان) يكون محدودًا ، ويكون غير محدود ، فالمحدود كقولك : كان زيد جالسًا هنا ، وغير المحدود كقوله تعالى : ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [٣] ؛ لأن كل صفة لله مستحقة في حال ، فهي مستحقة في كل حال " [٤] .

وقد وردت (كان) في اللسان العربي مستعملة تامة ، وناقصة .

فاستعملت تامة بمعنى (ثبت) ، وثبوت كل شيء بحسبه فمنه الأزلية نحو : كان الله ولا شيء معه [٥] ، وبمعنى (حدث) [٦] ، نحو قول الشاعر [٧] :

إذا كان الشتاء فأدفئوني ... فإن الشيخ يهرمه الشتاء

وبمعنى (حضر) [٨] نحو قوله تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ ﴾ [٩] .

---

(١) الإنسان : ٧ .
(٢) التحرير والتنوير ٢٩ : ٣٨٣ .
(٣) النساء : ١٥٨ .
(٤) الأمالي ٢ : ٤٨٣ .
(٥) ينظر ارتشاف الضرب ٣ : ١١٥٣ .
(٦) ينظر : التبصرة والتذكرة ١ : ١٩١ ، شرح اللمع لابن برهان ١ : ٤٨ ، المساعد ١ : ٢٥٢ .
(٧) هو الربيع بن ضبع الفزاري ، والبيت من الوافر ، وهو من شواهد شرح اللمع لابن برهان ١ : ٤٨ ، الهمع ١ : ١١٦ ، شرح التسهيل ١ : ٣٤٢ ، شرح الشذور : ٣٥٤ .
(٨) ارتشاف الضرب ٣ : ١١٥٣ ، الهمع ١ : ١١٦ .
(٩) البقرة : ٢٨٠ .

وبمعنى (وقع) [١] نحو : ما شاء الله كان ، وبمعنى (أقام) [٢] نحو قوله [٣] :

كانوا وكنا فما ندري على مهلٍ أنحن فيما لبثنا أم هم عَجَـــــلُ

وهي في هذه المعاني كلها لا تحتاج إلى خبر ، وإنما المرفوع بعدها يعرب فاعلاً لدلالتها على الحدث والزمن شأنها في ذلك شأن الأفعال التامة .

وتستعمل ناقصة [٤] ، وهي التي تحتاج إلى الخبر ، وهي التي تسمى المفتقرة والزمانية [٥] أي : مفتقرة إلى المنصوب بعدها . وزمانية أي تدل على الزمان المناسب لخبرها .

ومن استعمالات (كان) في اللسان العربي مجيئها بمعنى (صار) ، واستشهدوا على ذلك بآيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا * وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾ [٦] أي : فصارت السماء أبوابا ، وصارت الجبال سرابًا[٧] وقوله تعالى : ﴿ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا * فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا * وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ [٨] أي : فصارت هبـــاءً [٩] ،

---

(١) ارتشاف الضرب ٣ : ١١٥٤ ، الهمع ١ : ١١٦ .
(٢) ارتشاف الضرب ٣ : ١١٥٤ .
(٣) غير معروف ، والبيت من البسيط ، وهو من شواهد ، التذييل والتكميل ٢ : ١٢٤ ، ارتشاف الضرب ٣ : ١١٥٤ .
(٤) ذهب بعض النحاة إلى أنها سميت ناقصة لكونها لا تكتفي بمرفوعها ، وذهب بعضهم إلى أن سبب تسميتها بذلك أنها لا تدل على الحدث وإنما تدل على الزمن فقط . وهذا مذهب المبرد ، وابن السراج ، والفارسي ، وابن جني ، والجرجاني وغيرهم ، وذهب ابن عصفور وابن مالك إلى أنها تدل على الحدث والزمان . ينظر : المقتضب ٤ : ٨٧ ، الأصول ٨٢/١ ـ ٨٣ ، المسائل العسكرية ٩٦ ـ ٩٧ ، المقتصد في شرح الإيضاح ١ : ٣٩٨ ـ ٤٠١ ، شرح الجمل لابن عصفور ١ : ٣٨٥ ، المساعد ١ : ٢٥٢ ، الهمع ١ : ١١٦ .
(٥) ينظر : شرح ملحة الإعراب للحريري : ١٤٨ .
(٦) النبأ : ١٩ ، ٢٠ .
(٧) ينظر : النسفي ٢:٣٢٦ ، تفسير البيضاوي ٥ : ٤٣٧ ، الكافية الشافية ١ : ١٦٨ .
(٨) الواقعة : ٥ ـ ٦ ـ ٧ .
(٩) ينظر : الروح والريحان ٢٨ : ٣٤٦ ، شرح التسهيل ١ : ٣٤٥ ، نتائج التحصيل ٣ : ١١٦٩ .

وصرتم أزواجًا .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴾ [١] ، أي : يتغير لون السماء المعروف أنه أزرق إلى البياض ، فيصير لونها أحمر [٢]

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [٣] .

* وقد تحير أكثر المفسرين في بيان معنى الآية من جهة حملهم الفعل (كان) على الدلالة على الاتصاف بالكفر فيما مضى عن وقت الامتناع من السجود، ومن البدهي أنه لم يكن يومئذ فريق يوصف بالكافرين فاحتاجوا أن يتمحلوا بأن إبليس كان من الكافرين أي : في علم الله ، وتمحّل بعضهم بأن إبليس كان مظهرًا للطاعة مبطنا الكفر نفاقًا ، والله مطلع على باطنه ولكنه لم يخبر به الملائكة وكل ذلك تمحل لا داعي له لما علمنا من أن الفعل الماضي يفيد مضي الفعل قبل وقت التكلم ، وأمثلهم طريقة الذين جعلوا (كان) بمعنى (صار) فإنه استعمال من استعمال فعل (كان) * [٤] .

وإنني أميل إلى أن الفعل (كان) في الآية الكريمة معناه ثبت في علم الله أزلاً كفر إبليس ، وأن ظاهر الآية كان يقتضي و (كفر) كما قال جل وعلا (أبي واستكبر) ، ولكن عدل عن مقتضى الظاهر إلى (وكان من الكافرين) لدلالة (كان) في مثل هذا الاستعمال على رسوخ معنى الخبر في اسمها ، والمعنى : أبى واستكبر وكفر كفرًا عميقًا [٥] وهناك أمر آخر يمكن إضافته إلى ذلك وهو مراعاة للفاصلة في الآية .

---

(١) الرحمن : ٣٧ .
(٢) ينظر : التحرير والتنوير ٢٧ : ٢٦١ .
(٣) البقرة : ٣٤ .
(٤) ينظر التحرير والتنوير ١ : ٤٢٦ بتصرف وينظر : روح المعاني ١ : ٢٢٩ .
(٥) ينظر : التحرير والتنوير ١ : ٤٢٧ .

ولرى أن إلحاق (كان) في الآية بـ (صار) فيه بعد من حيث إن ضابط الصيرورة ـ هنا ـ لا ينطبق عليها ، فقد علمنا ـ آنفا ـ أن ضابط الصيرورة محصور في : تحول الشيء من صفة إلى صفة أخرى لم يكن عليها من قبل وهذا غير وارد هنا .

ومن الآيات التي وردت فيها (كان) بمعنى (صار) قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [1] ، أي : ولولا ما تفضل الله به عليكم من إمهالكم وتأخير العذاب عنكم لكنتم من الخاسرين أي : من الهالكين الذين باعوا أنفسهم بنار جهنم [2] قال أبو حيان : " ويحتمل أن يكون (كان) هنا بمعنى صار" [3] ، ومعنى الصيرورة ـ هنا ـ واضح لما في هلاكهم من التحول من حالة إلى حالة أخرى .

ومما استشهد به النحاة على مجئ (كان) بمعنى صار يقول الشاعر [4]:

بتيهاء قفر والمطيُّ كأنها ... قطا الحزنِ قد كانت فراخاً بيوضُها

أي : قد صارت فراخا .

قال ابن يعيش بعد أن ذكر البيت : " والشاهد فيه استعمال (كان) بمعنى (صار) والعرب تستعير هذه الأفعال فتوقع بعضها مكان بعض ، فأوقعوا (كان) هنا موقع صار لما بينهما من التقارب في المعنى ، لأن (كان) لما انقطع [5] وانتقل من حال إلى حال ، ألا ترك تقول : قد كنت غائبا وأنا

---

(١) البقرة : ٦٤ .
(٢) التفسير الكبير للرازي ٣ : ١٠٩ ، وينظر روح المعاني ١ : ٢٨١ .
(٣) البحر ١ : ٤٠٨ .
(٤) هو ابن أحمر ، والبيت من الطويل ، تيهاء : صحراء مهلكة لا يهتدي فيها ، والقطا : جمع قطاة وهي من أنواع الطيور ، والبيت من شواهد : شرح التسهيل ١ : ٣٤٥ ، شرح المفصل لابن يعيش ٧ : ١٠٢ ، شرح الكافية الشافية ١ : ١٦٨ ، نتائج التحصيل ٢ : ١١٦٩ ، الإرشاد إلى علم الإعراب : ١٤٨ ، التذييل والتكميل ٤ : ١٥٦ .
(٥) يقصد بهذا أن (كان) تدل على الزمان المنقطع .

الآن حاضر، فـ (صار) كذلك تفيد الانتقال من حال إلى حال، نحو قولك : صار زيد غنيا أي : انتقل من حال إلى هذه الحال " [١] .

فابن يعيش ـ كما نرى ـ يقرر صحة مجئ (كان) بمعنى (صار) متى ما انطبق عليها ضابط الصيرورة وهو الانتقال من حال إلى حال .

ومما استشهدوا به قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [٢] وللعلماء في (كان) ـ في الآية ـ عدة توجيهات [٣] :

أحدها : أنها تامة ، وعلى ذلك فـ (خير) تعرب حالاً ، والمعنى : وجدتم خير أمة .

والثاني : أنها ناقصة ، رافعة للاسم ناصبة للخبر ، ولا يراد بها ـ هنا ـ الدلالة على مضي الزمان ، وانقطاع النسبة نحو قولك : كان زيد" قائمًا . بل المراد : دوام النسبة كقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [٤]

وهذا التوجيه استظهره أبو حيان [٥] أي : كنتم في الماضي والحاضر والمستقبل فنسبة الخيرية إلى الأمة ليست منحصرة في زمن بعينه .

والثالث : أنها ناقصة ، بمعنى (صار) أي : صرتم خير أمة .

والرابع : أنها ناقصة ، والمعنى : كنتم كذلك في تقدير الله تعالى وهو اختيار الراغب [٦] .

والخامس : أنها زائدة ، والمعنى : أنتم خير أمة .

---

(١) شرح المفصل ٧ : ١٠٢ .
(٢) آل عمران : ١١٠ .
(٣) ينظر : مفردات الراغب ٢ : ٥٧٣ ، الكشاف ١ : ٦٠٠ ، إملاء ما من به الرحمن ١ : ١٤٥ ، البرهان ٤ : ١٢٧ ، القرطبي ٤ : ١٧٠ .
(٤) الأحزاب : ٥ .
(٥) البحر ٣ : ٣٠ .
(٦) المفردات ٢ : ٥٧٣ .

ولكني أميل إلى القول بأنها بمعنى (صار) لوضوح ضابط الصيرورة فيها وهو الحصول بعد أن لم يحصل . فخيرية الأمة المحمدية حصلت بعد اتخاذها نصح الله تعالى طريقًا للهداية والرشاد ، ومن قبل كانت هذه الخيرية معدومة ، وإذا كانت التوجيهات الأخرى من حيث المعنى والإعراب مقبولة ، فإن العكبري خطأ القول بزيادتها [١] ووصفه أبو حيان بالبعد [٢] ، لأن الزيادة لا تكون في أول الكلام ، كما أن (كان) الزائدة لا عمل لها .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾ [٣] .

فالآية في معرض الحديث عن قوم صالح عليه السلام لما عصوا وأعرضوا وكذبوا كانت عاقبتهم هذه الصيحة التي حولتهم كالهشيم ، فالفعل (كان) دل على التحول من حالة إلى حالة أخرى [٤] .

الفرق بين (كان) و (صار) :

وهناك فرق بين (كان) و (صار) ، حيث إن اسم كان متصف بالخبر من قبل دخول (كان) عليه ، بخلاف (صار) فإن اتصاف الاسم بالخبر معها معناه: وجد بعد أن لم يكن موجودًا . وفي هذا يقول العلامة الرضي:

" فمعنى : كان زيد" قائمًا : أن (زيدًا) متصف بصفة القيام المتصف بصفة الكون أي : الحصول والوجود ، ومعنى : صار زيد غنيا : أن (زيدًا) متصف بصفة الغنى المتصف بصفة الصيرورة ، أي : الحصول

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ١ : ١٤٥ .
(٢) البحر ٢ : ٥٧٣ .
(٣) القمر : ٣١ .
(٤) ينظر : روح المعاني ٢٧ : ٩٠ ، التحرير والتنوير ٢٧ : ٢٠٢ .

بعد أن لم يحصل " [1] .

وهذا فرق عام بين (كان) ، و (صار) .

ولكني أرى فرقًا بين (كان) بمعنى (صار) ، وبين (صار) الأم من حيث إن معنى (كان) ــ أصلاً ــ الحدوث والاستقرار والإيجاب .

ومن هذا المعنى ــ أيضا ــ (المكان) ، قيل أصله : من كان يكون ، فلما كثر في كلامهم ، توهمت الميم أصلية ، فقيل (تمكن) أي : استقر وثبت في مكانه [2] ، فكأن الفعل (كان) مع إفادته الصيرورة هو : مفيد ــ أيضا ــ لمعنى الرسوخ والثبوت والقوة والتأكيد .

وإذا أنعمنا النظر فيما ذكروه من شواهد لمجيء (كان) بمعنى (صار) نرى هذا المعنى واضحًا ، ففي قوله تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ [3] أي : صرتم بتأكيد خير أمة، وقوله تعالى : ﴿ فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ [4] أي : صاروا إلى هذه الحالة بيقين . وفي قول الشاعر السابق : كانت فراخًا ببوضُها ، أي : صارتْ ببوضُها فراخًا حيث تحولت البيوض من صورتها المعروفة إلى صورة الفراخ المعروفة حقًا ، وهكذا إذا ما تتبعنا شواهد استعمال (كان) بمعنى (صار) وجدنا هذا الفرق واضحا .

---

(١) شرح الكافية ٤ : ١٨٢ .
(٢) اللسان مادة (ك و ن) ، والمفردات للراغب الأصفهاني ٢ : ٦١٠ .
(٣) آل عمران : ١١٠ .
(٤) القمر : ٣١ .

ثانيا : (أصبح ـ أمسى ـ أضحى ـ ظل ـ بات)

وهذه الأفعال الخمسة ـ كما نرى ـ كل فعل منها يدل على وقت معين .

فـ (أصبح) من الصبح وهو أول النهار ، وهو نقيض المساء [١] .

و(أمسى) : والمساء : ضد الصباح ، والإمساء نقيض الإصباح .

قال سيبويه : قالوا الصباح والمساء كما قالوا : البياض والسواد [٢]

و (ضحا) الضحو ، والضحوة والضحيّة ، على مثال : العشية ، ارتفاع النهار [٣] .

و (ظلّ) : ظل نهاره يفعل كذا وكذا يظلُّ ظلاًّ وظُلُولاً ، يقال : ظل فلان نهاره صائما ، ولا تقول العرب ظل يظل إلا لكل عمل بالنهار [٤] .

و (بات) بات يفعل كذا أي : ظل يفعله ليلاً ـ كما يقال : ظل يفعل كذا إذا فعله بالنهار ، وقال الزجاج : كل من أدركه الليل فقد بات نام أو لم ينم وفي التنزيل : ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ [٥] ، قال الليث : من قال بات فلان إذا نام فقد أخطأ ، ألا ترى أنك تقول : بت أراعي النجوم ؟ معناه : بت أنظر إليها ، فكيف ينام وهو ينظر إليها ؟ [٦] .

يقول أحد الباحثين المحدثين : " فها نحن نرى جملة أفعال من النواسخ تحتاج إلى مرفوع ثم منصوب ، وتستقل بوظيفة وهي تحديد وقت بعينه من أوقات الليل أو النهار " [٧] .

---

(١) ينظر : اللسان (صبح) .
(٢) المصدر نفسه (مسى) .
(٣) المصدر نفسه (ضحو) .
(٤) المصدر نفسه (ظلل) .
(٥) الفرقان : ٦٤ .
(٦) اللسان (بيت) .
(٧) د. أحمد سليمان ياقوت في كتابه النواسخ الفعلية والحرفية : ٢٧٣ ، دار المعارف١٩٨٤

على أن هناك أفعالاً أخرى تدل على أزمنة معينة بالليل أو بالنهـار ، ألحق بعض النحاة منها الفعلين (غدا وراح) بـ (صار) في المعنى والعمل لكثرة ورودهما في اللسان العربي ، وقد مر بنا الحديث عنهما .

وهناك أفعال أخرى تدل ـ أيضا ـ على توقيتات معينة نقل أبو حيان عن الفراء أنه ألحقها بـ (صار) وهي : أسحر ، وأفجر ، وأظهر ثم قال : " ولم يذكر شاهدًا على ذلك " [1] ، ومنع ابن مالك هـذا الإلحـاق [2] ـ والحق معه ـ لعدم استعمال العرب إياه .

وحيثما وردت هذه الأفعال دالة على هذه الأزمنـة الخاصـة وكانـت محتاجة إلى المرفوع بعدها والمنصوب فهي أفعال ناسخة ناقصة ، تـدل على اتصاف اسمها بالخبر في هذا الوقت الخاص نحو : أصبح الجوُّ دافئا وأمسى باردا ، وأضحى العامل نشيطا ، وظل كادحًا ، وبات هانئا .

يقول العلامة ابن يعيش : " قد استعملت هذه الأفعال على ثلاثة معانٍ ، أحدها : أن تدخل على المبتدأ والخبر لإفادة زمانها في الخبر فإذا قلـت : أصبح زيد عالمًا ، وأمسى الأمير عادلاً ، وأضـحى أخـوك مسـرورًا ، فالمراد أن علم (زيد) اقترن بالصباح ، وعدل الأمير اقتـرن بالمسـاء ، وسرور الأخ اقترن بالضحى ، فهي ككان في دخولها على المبتدأ وإفـادة زمانها للخبر إلا أن أزمنة هذه الأشياء خاصة ، وزمان (كان) يعـم هـذه الأوقات وغيرها ، إلا أن (كان) لما انقطع ، وهذه الأفعال زمانهـا غيـر منقطع ، ألا ترى أنك تقول : أصبح زيد غنيا ، وهو غني وقت إخبـارك غير منقطع " [3] .

---

(١) التذييل والتكميل ٤ : ١٦٧ .
(٢) التسهيل : ٥٤ .
(٣) شرح المفصل ٧ : ١٠٣ .

وأما إذا زال عن هذه الأفعال الدلالة على توقيت بعينه . وكانت محتاجة إلى الخبر في تمام المعنى ، فهي ـ حينئذٍ ـ تكون بمعنى التحول والانتقال من حال إلى حال ، وتفيد معنى الصيرورة [١] .

وقد استشهد النحاة [٢] على مجيء (أصبح) بهذا المعنى ، بقوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [٣]

أي : فصرتم بسبب نعمته ـ التي هي ذلك التآلف ـ متحابين فـ (أصبح) ناقصة ، و (إخوانًا) خبره [٤] .

إذ كانوا في الجاهلية بينهم الإحن والعداوات والحروب المتواصلة فألف الله بين قلوبهم بالإسلام ، وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا إخوانا [٥] .

فالفعل (أصبح) جاء بمعنى (صار) ، وليس المراد به معناه الأصلي [٦]

وقيل : (أصبح) في الآية بمعنى : دخلتم في الصباح ؛ فالباء ـ حينئذٍ ـ متعلقة بمحذوف حال من الفاعل ، وكذا (إخوانا) ، أي : فأصبحتم ملتبسين بنعمته حال كونكم إخوانا [٧] .

وقال صاحب المحرر الوجيز : " فأصبحتم عبارة عن الاستمرار وإن كانت اللفظة مخصوصة بوقت ما ، وإنما خصت هذه اللفظة بهذا المعنى من حيث هي مبدأ النهار وفيها مبدأ الأعمال ، فالحال التي يحسها المرء

---

(١) ينظر : التوطئة : ٢٢٥ ، شرح المفصل ٧ : ١٠٤ .
(٢) ينظر : ارتشاف الضرب ٣ : ١١٤٦ ، نتائج التحصيل ٣ : ١١٦٩ ، التوطئة :٢٢٥ ، التذييل والتكميل ٤ : ١٥٦ ، شرح الأشموني ١ : ٢٣٠ .
(٣) آل عمران : ١٠٣ .
(٤) ينظر : روح المعاني ٤ : ١٩ ، فتح القدير ١ : ٥٤٧ .
(٥) ينظر : الكشاف ١ : ٦٠١ ـ ٦٠٢ .
(٦) ينظر : فتح القدير ١ : ٥٤٧ .
(٧) ينظر : روح المعاني ٤ : ١٩ .

من نفسه فيها هي حاله التي يستمر عليها يومه في الأغلب "[1] .

ورد عليه أبو حيان قائلا : "وهذا الذي ذكره من أن (أصبح) للاستمرار وعلله بما ذكره ، لا أعلم أحدا من النحويين ذهب إليه ، إنما ذكروا أنها تستعمل على الوجهين اللذين ذكرتهما "[2] يقصد معنى الصيرورة ، والمعنى الأصلي لها .

ويؤكد أبو حيان معنى الصيرورة في الآية فيقول : "ومعنى : فأصبحتم أي : صرتم ، وأصبح ــ كما ذكرنا في المفردات ــ تستعمل لاتصاف الموصوف بصفته وقت الصباح ، وتستعمل بمعنى (صار) فلا يلحظ فيها وقت الصباح بل مطلق الانتقال والصيرورة من حال إلى حال"[3]

وأنا أميل إلي ما ذهب إليه أبو حيان وأرجحه ، من أن (أصبح) بمعنى (صار) ، ولعل السرّ في استعمال (أصبح) في الآية دالة على الانتقال والتحول كأن الله تعالى يريد أن يذكر أهل الإيمان بنعمة هي من أجل النعم وهي نعمة الأخوة والتحاب والتراحم ، حيث كانوا قبل ذلك في عداوات وحروب وإحن وبغضاء وكل هذا يشبه الليل في ظلمته وعتمته ، فلما أسلموا وانضووا تحت راية التوحيد زالت هذه الظلمات وتبدلت حالهم وتغيرت وأصبحوا بنعمة الله إخوانا متحابين .

فـ (أصبح) مع كونها دالة على معنى الصيرورة إلا أن المعنى الأصلي لها نلمحه ــ أيضا ــ فيها .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا ﴾ [4] فـ (أصبح) فيها وجهان : إما أن تكون على بابها وهو

---

(١) المحرر الوجيز ٣ : ١٨٣ .
(٢) البحر ٣ : ٢١ .
(٣) المصدر السابق : الجزء نفسه والصفحة نفسها .
(٤) الكهف : ٤٢ .

الدلالة على الزمن المعين ، وأن تكون بمعنى (صار) ، وتقليب كفيه كناية عن الندم لأن النادم يفعل ذلك [١] .

وإن كنت أرجح أن (أصبح) ــ هنا ــ على بابها ؛ لأن مثل هذه الأفعال تحدث ليلاً غالبًا .

وقوله تعالى : ﴿ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ ﴾ [٢]

فـ (أصبح) يجوز أن تكون على بابها أي دالة على حصول الخبر في وقت الصباح ، ويجوز أن تكون بمعنى (صار) من غير تقيد بصباح [٣] .

وقوله تعالى: ﴿ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾ [٤]

والمعنى : فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم وهم الذين كفروا فأصبحوا ظاهرين ، فصاروا غالبين [٥] .

ومن هذا ــ أيضا ــ قول الشاعر [٦] :

أصبحوا قد أعاد الله نعمتهم ... إذ هم قريش ، وإذ ما مثلهم بشرُ

وهو مما استشهد به ابن مالك على هذا المعنى [٧] والمعنى : فصاروا ؛ لأن (أصبح) ــ هنا ــ غير مقيدة بزمن معين .

ومن هذا قول الشاعر [٨] ــ أيضا ــ :

---

(١) ينظر : الدر المصون ١ : ٤٩٧ ، البحر ٦ : ١٢٣ .
(٢) الكهف : ٤٥ .
(٣) ينظر الدر المصون ٧ : ٥٠١ .
(٤) الصف : ١٤ .
(٥) ينظر : روح المعاني ٢٨ : ٩٩ .
(٦) هو الفرزدق والبيت من البسيط ، من قصيدة يمدح فيها عمر بن العزيز ، وأعاد الله نعمتهم : ردها عليهم ، وأراد بالنعمة بسط السلطان على سائر العرب ينظر : ديوانه ١٦٧ ، والبيت من شواهد الكتاب ١ : ١٠٠ ، المقتضب ٤ : ١٩١ ، الهمع ١ : ١٢٤ ، أوضح المسالك ١ : ٢٨٠ .
(٧) ينظر : الكافية الشافية ١ : ١٧٠ .
(٨) هو الربيع بن ضبع ، والبيت من المنسرح ، وهو من شواهد الكتاب ١ : ١٤٢ ، شرح المفصل ٧ : ١٠٥ ، التصريح ٢ : ٣٦ ، البحر ٣ : ٢١، الدر المصون ٧ : ٥٠١ .

أصبحت لا أحمل السلاح ولا أملك رأس البعير إن نفـــرا

إذ المعنى : صرت ؛ لأن (أصبح) غير مقيدة بزمن معين ، فهو صار لا يحمل السلاح ، ولا يملك رأس البعير إن نفر منه .

وأما (أمسى) ، فالأصل فيها أنها تدل على ثبوت مضمون الجملة فـي وقت المساء ، نحو : أمسي الجوُ باردًا ، المعنى اتصاف (الجو) بـالبرودة في وقت المساء .

ومتى ما زالت دلالتها على هذا الوقت ، فإنهـا ــ حينئـذ ــ تكـون بمعنى صار .

ومن هذا قول الشاعر [1] :

أمست خلاءً ، وأمسى أهلها احتملوا

أخنى عليها الذي أخنى على لبـد

أي : صارت خلاءً [2] ، لأن (أمسى) ــ هنا ــ غير دالة على وقت المساء والشاهد في أمسى الأولى فقط ، أما الثانية فلا يجـوز أن تكـون بمعنـى (صار) لأن خبرها ماض وهذا لا يجوز مع صار وأخواتها [3]

وإن كان من الممكن أن يكون نزل ساحات المنازل مساءً فوجدها خالية ، ولكن دلالتها على الصيرورة أوضح .

---

(١) هو النابغة الذبياني ، والبيت من البسيط من قصيدة يمدح فيها النعمان بن المنذر وأولها : يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد

ولبد : اخر نسور لقمان ، وأخنى : أفسد ، والبيت في ديوانه : ٣٣ .

وروايته أضحت خلاءً وأضحى ، وهو من شواهد شرح التسهيل ١ : ٣٤٦ ، الكافية الشافية ١ : ١٧٠ ، شرح الأشموني ١ : ٢٣٠ ، الهمع ١ : ١١٤ .

(٢) الارتشاف ٣ : ١١٥٦ .

(٣) حاشية الصبان ١ : ٢٣٠ .

واستعمال الفعل(أمسى) في البيت دالاً على الصيرورة فيه من دقة الاختيار من الشاعر ما فيه من حيث إن الدار تظل طول النهار عامرة بالحركة فإذا ما أتى عليها المساء هدأت فصيرورتها خلاءً بعد عمران يشبه هذا .

وأما (أضحى) ، فإن الأصل فيها الدلالة على ثبوت مضمون الجملة معها في وقت الضحى ، نحو : أضحت الشمس ساطعة ، وقد يزول عنها دلالتها على هذا الزمن المعين ، فتكون بمعنى (صار) ، كما في قول الشاعر [1] :

ثم أضحوا كأنهم ورق" جفـ ... ـفَ ، فألوتْ به الصبا والدبـــورُ

فـ (أضحوا) ــ هنا ــ بمعنى (صاروا) لأنها غير مقيدة بزمان ، ومع دلالتها على الصيرورة فإن فيها رائحة الدلالة على الزمن فإن الريح غالبًا ما تكون ضحى .

واستشهد أبو حيان على هذا المعنى للفعل (أضحى) بقول الشاعر[2] :

أضحى يمزق أثوابي ويضربني ... أبعد شيبي يبغي عندي الأدبـــا

أي : صار [3] إذ ليس المقصود أنه مزق أثوابه وضربه في وقت الضحى، فحصر الفعل في هذه الدلالة الزمنية غير مراد لأن الضرب قد يحدث في أوقات أخرى .

ولما (ظل) ، فإن الأصل فيها الدلالة على ثبـوت مضـمون الجملـة بالنهار ، نحو : ظل العامل كادحًا ، أي : كان كذلك في جميع النهار وإذا مازال عنها دلالتها على هذا الزمن المعين فإنها تكون بمعنى (صار) .

---

(١) هو عدي بن زيد ، والبيت من الخفيف ، وألوت : طارت ، والصبا والدبور ريحان متقابلتان والبيت في ديوانه : ٩٠ وهو من شواهد شرح التسهيل ١ : ٣٤٦ ، الكافية الشافية ١ : ١٦٩ ، الأشموني ١ : ٢٣٠ .

(٢) البيت منسوب لأم ثواب الهزانية من عنزة بن أسد ، وهو من البسيط ، ينظر : الارتشاف ٣ : ١١٥٥ .

(٣) الارتشاف ٣ : ١١٥٥ .

يقول الرضي : " وقد جاءت (ظل) ناقصة بمعنى (صار) مجردة من الزمان المدلول عليه بتركيبها ، قال تعالى : ﴿ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا ﴾ [١] [٢]

قال النسفي : " ظل : أي : صار ، فظل ، وأصبح وبات تستعمل بمعنى الصيرورة ؛ لأن أكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتمًا مسود الوجه من الكآبة والحياء من الناس " [٣] .

وقال أبو حيان : " والأظهر أن يكون بمعنى (صار) لأن التبشير قد يكون في ليل ونهار " [٤] .

ولعلّ السرّ في استعمال (ظلّ) دالاً على الصيرورة للمنح أصل استعمالها ، حيث إن أثر هذه البشارة وهو اسوداد الوجه واغتمام النفس والانكسار ــ كل هذه الآثار ــ يراها الرائي واضحة على وجه صاحبها نهارًا .

وذهب السيرافي [٥] إلى أن (ظل) لا تكون بمعنى (صار) وإنما تستعمل ناقصة لاتصاف الموصوف بالصفة نهارًا [٦] .

وتبعه في هذا لكذة الأصفهاني [٧] والمهاباذي [٨] .

---

(١) النحل : ٥٨ .

(٢) شرح الكافية ٤ : ١٩٥ ، التوطئة : ٢٢٦ .

(٣) تفسير النسفي ٢ : ٢٩٠ وينظر : روح المعاني ١ : ١٦٨ ، والتحرير والتنوير ١٤ : ١٨٤ .

(٤) البحر ٥ : ٤٨٨ ، وينظر شرح المفصل ٧ : ٣٧٥ .

(٥) أبو سعيد الحسن بن عبد الله نشأ بسيراف من بلاد فارس ورحل إلى عمان وأخذ عن ابن السراج شرح كتاب سيبويه . توفي ٣٦٨ هـ ، ينظر : الأعلام ٢ : ١٩٥ .

(٦) ينظر : شرح السيرافي لكتاب سيبويه ٢ : ٣٥٦ ، وشرح اللمع لابن برهان ١ : ٥٣ .

(٧) هو الحسن بن عبد الله أبو علي الأصبهاني المعروف بلكذة ، وبعضهم نقلها لكرة بالراء قال عنه ياقوت : قدم بغداد وكان إمامًا في النحو واللغة ، أخذ عن الباهلي والكرماني ، وكان يحضر مجالس الزجاج ويكتب عنه . ينظر : معجم الأدباء ٨ : ١٣٩ ، البغية ١ : ٥٠٩ ، ينظر رأيه في الهمع ١ : ١١٤ .

(٨) ينظر رأيه في الهمع ١ : ١١٤ ، نتائج التحصيل ٣ : ١١٧ .

وعاب لكذة قول الأعشى :

يظل رجيمًا لريب المنـــون وللنقم في أهله والحـــزن [1]

بأن ليس الظلول إلا نهارًا ، قال : أفتراه يظل نهاره رجيمًا لريب المنون فإذا جن الليل أمن، ومنع : ظل فلان عمره سفيها ، وشهره سائرًا ، إلا وسيره نهاري ، ونعى عليهم (أي : على السيرافي ، ولكرة ، والمهاباذي) ذلك المحققون " [2]

وممن رد على لكرة ومن لف لفه في هذا الاتجاه أبو حنيفة الدينوري[3] حيث قال : " أفترى أنت السامري الذي ظل على العجل عاكفًا كانت عبادته نهارية فقط ، فإذا جن الليل كفر به ، وقد قال : ﴿ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾ [4] ، وقد كانت الغيبة أربعين يومًا ، بل ينبغي على ذلك في قوله جل ثناؤه : ﴿ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴾ [5] أن يكون كفرهم نهاريًا لا غير .

وفي قول الشاعر [6] :

وإخوان صدق لست أطلع بعضهم على سر بعض غير أني جماعُها

يظلون شتى في البلاد وسرهـــم إلى صخرة أعيا الرجال صداعُها

---

(١) البيت من المتقارب ، من قصيدة يمدح فيها قيس بن معد يكرب ، ينظر ديوانه :١٦٤ نتائج التحصيل ٣ : ١١٧١ ، التذييل والتكميل ٤ : ١٥٨ .

(٢) نتائج التحصيل ٣ : ١١٧١ .

(٣) هو أحمد بن داود بن ونقد الدينوري من أهل الدينور من شيوخه ابن السكيت برع في النحو واللغة والهندسة وله عدة كتب منها كتاب الفصاحة ، والأنواء ، والرد على الأصفهاني توفى ٢٨٢هـ وقيل ٢٨١ هـ وقيل ٢٩٠هـ ينظر : إنباه الرواة ١ : ٤١ ، البغية ١ : ٣٠٦ .

(٤) طه : ٩١ .

(٥) الروم : ٥١ .

(٦) البيتان من الطويل ، ولم يعرف قائلهما ، وهما في : نتائج التحصيل ٣ : ١١٧١ ، التذييل والتكميل ٤ : ١٦٠ .

أن يكون هؤلاء شتاتًا بالنهار ، فإذا جن الليل اجتمعوا واحدهم بالغور والآخر بنجد .

وقال ذو الرمة :

حتى إذا يبست بهمي لذي لبن ... واصفرّ بعد سواد النظرة العودُ [1]

ظلت تخفق أحشائي على كبدي ... كأنني من حذارِ البين مـــورود

أفترى حذاره نهاريًا ، فإذا جن الليل أمن يقيناً من افتراقهم بالنهـــار ، وبالليل على العكس " [2] .

فالفعل (ظل) في هذه الشواهد كلها زالت عنه الدلالـــة علـــى ثبـــوت مضمون الجملة بعده في وقت النهار ، فدل على الصيرورة التي انطبـــق ضابطها عليه وهو حصول الشيء بعد أن لم يكن .

ومن شواهد (ظل) بمعنى (صار) ـــ أيضا ـــ في القرآن الكريم قولـــه تعالى : ﴿ لَوْ نَشَاء لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴾ [3] فالفعل (ظلتم) هنا بمعنى (صرتم) [4] .

وقوله تعالى : ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَـــاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ [5] أي : صارت [6] .

---

(١) البيتان من البسيط ، وهما في ديوانه : ٦٧ برواية حتى إذا وجفت ، ولبن : من أرض اليمامة ، وهو وادٍ وفيه نخل لبني عبيد بن ثعلبة ، والبيت يصف حميرا اجتزأت من أول الجزء حتى إذا وجفت البهمي . ووجيفها : إقبالها وإدبارها مع الريح ، وقوله : مورود : محموم ، أي : كأنني من حذار الفرقة محموم فأنا أرتعد ، والبيتان في نتائج التحصيل ٣ : ١١٧١ ، وينظر كلام المحقق في هامش (٦) .

(٢) ينظر : نتائج التحصيل ٣ : ١١٧١ ـ ١١٧٢ .

(٣) الواقعة : ٦٥ .

(٤) ينظر التحرير والتنوير ٢٧ : ٣٢٢ ، فتح القدير ٥ : ٢٢٤ ، التوطئة : ٢٢٦ .

(٥) الشعراء : ٤ .

(٦) ينظر : ارتشاف الضرب ٣ : ١١٥٦ ، شرح التسهيل ١ : ٣٤٦ .

وسياق الآية الكريمة ومعناها يوضح لنا أن الفعل (ظل) يدل على التحول والصيرورة بدليل قول ابن عباس رضي الله عنهما : " نزلت هذه الآية فينا وفي بني أمية ، قال : ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا أعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة " [١] .

وذلة القوم بعد عزتهم يعني انتقالهم من حال إلى حال .

ولو أني لمح في استعمال الفعل (ظل) في الآية الكريمة دالا على الصيرورة ، سرًا في نظم القرآن الكريم وهو وضوح هذه الذلة ، وهذا الخضوع لكل ذي عينين ، وبحيث يراه جمهور الناس نهارًا .

وأما الفعل (بات) :

فقد ذهب الزمخشري إلى جواز استعماله بمعنى (صار) حيث يقول : " وظل وبات على معنيين : أحدهما : اقتران مضمون الجملة بالوقتين الخاصين على طريقة كان ، والثاني : كينونتهما بمعنى صار " [٢]

ورده ابن مالك قائلا : " وليس بصحيح ، لعدم شاهد على ذلك ، مع التتبع والاستقراء " [٣] .

يقول ابن مالك : " وحمل بعض المتأخرين على ذلك قول النبي ﷺ : " فإن أحدكم لا يدري أين باتت يده " [٤] ، ولا حاجة إلى ذلك لإمكان حمل (بات) على المعنى المجمع عليه وهو الدلالة على ثبوت مضمون الجملة ليلاً " [٥]

---

(١) ينظر : الكشاف ٤ : ٣٧٧ ، فتح القدير ٤ : ١٣٥ .
(٢) شرح المفصل ٧ : ١٠٥ .
(٣) شرح التسهيل ١ : ٣٤٦ .
(٤) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة ٣ : ١٧٨ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .
(٥) شرح التسهيل ١ : ٣٤٦ .

ووجه احتجاجهم بالحديث أن النوم قد يكون بالنهار ، وعليه فإن (بات) غير مستعملة في زمنها المعين فهي ــ حينئذٍ ــ بمعنى (صار) .

ولكن يحتمل أن يكون أخرجت في هذا الحديث مخرج الغالب ، لأن غالب النوم بالليل [١] .

ومقابلة الفعل (بات) بالفعل (ظل) يقوى هذا التخريج ، فكما أن (ظل) تقيد في أصل استعمالها : ثبوت مضمون الجملة نهاراً ، فإن (بات) تقيد ثبوت مضمونها ليلاً . كما قال الشاعر [٢] :

أظل أرعى وأبيت أطحن ... الموت من بعض الحياة أهون

حيث قابل بين العمل النهاري وهو الرعي ، والعمل الليلي وهو الطحن .

ويقوى عدم خروجها إلى معنى الصيرورة مجيئها في القرآن الكريم على أصل معناها في موطن واحد في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ [٣] .

قال النسفي : " والبيتوتة خلاف الظلول ، وهي أن يدركك الليل نمت أو لم تنم " [٤] .

قال ابن مالك : " ومن أصلح ما يتمسك به جاعلُ (بات) بمعنى (صار) قول الشاعر [٥] :

أجنّي كلما ذكرت كليب ... أبيت كأنني ألطوي بجمر

---

(١) ينظر : شرح الرضي ٤ : ١٩٥ .

(٢) غير معروف ، والبيت من الرجز ، وهو في التسهيل ١ : ٣٤٦ ، الكافية الشافية ١ : ١٦٩ .

(٣) الفرقان : ٦٤ .

(٤) تفسير النسفي ٣ : ١٧٤ .

(٥) هو عمرو بن قيس المخزومي ، والبيت من الوافر ، أجنّي : من أجل أني ، أو بجدي ، والبيت في شرح أشعار الهذليين ٢ : ٨٠١ اللسان : (جنن) شرح التسهيل ١ : ٣٤٧ ، التذييل والتكميل ٤ : ١٦١ ، نتائج التحصيل ٣ : ١١٧٢ .

لأن (كلما) تدل على عموم الأوقات ، و (أبيت) إذا كانت على أصلها مختصة بالليل " [١] .

* الفعل (أتى) بمعنى (صار) :

ذهب الزمخشري إلى أن الفعل (بأت) في قوله تعالى : ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ [٢]

بمعنى : " يصر " ، حيث يقول : " يأت بصيرًا : يصر بصيرا ، كقولك جاء البناء محكما ، بمعنى : صار ، ويشهد له ﴿ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ [٣] أو يأت إليّ وهو بصير ، وينصره قوله :﴿ وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [٤] أي : يأتني أبي ، ويأتني آله جميعًا " [٥]

فـ (بصيرًا) نصبه من وجهين : أحدهما أنه خبر (يأت) بمعنى (يصر) ، والثاني : أنه حال .

وهو ما ذهب إليه أبو حيان حيث قال : " وانتصب (بصيرًا) على الحال [٦] وهو ما أميل إليه وأرجحه من باب استعمال الفعل في معناه الأصلي ، يضاف إلى هذا أن معنى التصيير لم يذكره أصحاب المعاجم والمفردات [٧] .

---

(١) شرح التسهيل ١ : ٣٤٧ .
(٢) يوسف : ٩٣ .
(٣) يوسف : ٩٦ .
(٤) يوسف : ٩٣ .
(٥) الكشاف ٣ : ٣٢٣ ، وينظر : النسفي ٢ : ٢٣٦ ، الدر ٦ : ٥٧٧ .
(٦) البحر المحيط ٥ : ٣٣٩ .
(٧) ينظر اللسان (أتى) ، بصائر ذوي التمييز ٢ : ٤٤ وقد ذكر لـ (أتى) ستة عشر استعمالا في القرآن الكريم ليس من بينها معنى التصيير ، مفردات الأصفهاني ١ : ٩ ـ ١٠

• الفعل (تمثل) : في قوله تعالى : ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [١]، بمعنى (صار) حيث ذهب الرضي إلى أن المعنى : صار مثل بشر [٢]، ويبدو أن الرضي اعتمد في هذا على الضابط الذي حدده للصيرورة ، فجبريل عليه السلام تحول إلى صورة لم يكن عليها من قبل بينما ذهب المفسرون إلى أن بشرًا حال ، وسوغ مجيئها جامدة وصفها [٣] .

(١) مريم : ١٧ .
(٢) شرح الكافية ٤ : ١٨٣ .
(٣) الدر المصون ٧ : ٥٧٧ .

المبحث الثاني

ثانيًا : صيّر ومرادفاتها

هذا هو النوع الثاني من الأفعال التي تفيد الصيرورة (أصالة) . وهو (صيَّر) وأخواتها . وهذه الأفعال وضعها النحاة في باب (ظن وأخواتها) ، حيث قسموا أفعال الباب إلى قسمين : أحدهما : أفعال القلوب ، والثاني : أفعال التحويل والتصيير . ولعل سبب دمج أفعال التصيير في هذا الباب ـ رغم اختلاف القسمين في الدلالة المعنوية ـ هو الاشتراك بينهما في نصب مفعولين أصلهما المبتدأ والخبر ، فالاشتراك بينهما حاصل" من جهة العمل .

وهذه الأفعال ـ كما ذكرها ـ النحاة هي :

صيّر ، أصار ، جعل ، اتخذ ، تخذ ، ترك ، ردّ ، وهب بمعنى صير .

١ ـ صيّر :

مضعف الفعل (صار) الدال على التحول والانتقال من حال إلى حال .

ومما يلفت النظر أن الفعل (صيّر) مع أنه أصل الباب ـ هنا ـ إلا أنه لم يرد في القرآن الكريم ، ولكن ورد في قوله ﷺ : " **إن كنت كاذبًا فصيّرك الله إلى ما كنت** " [١]

وفي قول ذي الرُّمة [٢] :

أمن أجل دارٍ صيّر البينُ أهلها ... أيادي سبا بعدي وطال احتيالها

وقوله :

---

(١) الحديث في صحيح مسلم ١٨ : ٩٩ باب الزهد ، وهو جزء من حديث في قصة الثلاثة من بني إسرائيل الأعمى والأبرص والأقرع .

(٢) البيت من الطويل ، والبين : الفراق ، أيادي سبا : متفرقين : طال احتبالها : أكثر من الحول : السنة . ينظر ديوانه : ٢٣١ .

وأبيض تستحيي من اللوم نفسه إذا صيّر الوجناءَ حرفًا نحولُها[١]

وقول رؤبة :

ولعبت طيرٌ بهم أبابيـــل فصيّروا مثل كعصف مأكـول[٢]

فالواو : نائبُ فاعل وهو المفعول الأول ، و (مثل) المفعول الثـاني .

٢ ــ أصار :

وهو الفعل المتعدي بالهمزة من (صار) ، وقد ورد اسـتعمال الفعـل (صيّر) متعديًا بالتضعيف كثيرًا ، وأما المتعدي بالهمزة فقد ورد بقلة فـي اللسان العربي ولعل هذا سبب إهمال النحاة لذكره مع (صيّر) وأخواتها .

وقد نص بعض النحاة على استعمال الفعل (أصار) متعديًا لمفعولين منهم ابن مالك [٣] وأبو حيان [٤] ، والسيوطي [٥] ولم يـذكروا جمـيعُهم مثالاً ولا شاهدًا على ذلك .

ويمكن أن يستأنس لهذا بقول المتنبي :

وتَلثُمه حتى أصار مـــدادُهُ محاجر عينيها وأنيابَها سُحْمـا [٦]

وقوله :

بجسمي من برته لو أصارت وشاحي نقب لؤلؤة لجـــالا [٧]

---

(١) البيت من الطويل ، ديوانه : ٢٤٠ .

(٢) البيت من السريع ، وفي البيت إشارة إلى قصة أصحاب الفيل ، ينظر ديوانه : ١٨١ أوضح المسالك ٢ : ٥٢ ، الهمع ١ : ١٥٠ ، شرح التصريح ١ : ٢٥٢ الكافية الشافية ١ : ٣٦٦ .

(٣) ينظر : شرح التسهيل ٢ : ٨٢ ، وقال في الكافية الشافية : " صيّر ، ومرادفها أو قاربها " ١ : ٢٤٣ .

(٤) التذييل والتكميل ٦ : ٣٩ .

(٥) الهمع ١ : ١٥٠ .

(٦) البيت من الطويل ، ديوانه : ١٧٥ ، والبيت من قصيدة يرثي فيها جدته التي ماتت فرحا حينما جاءها خطاب بقدومه . تلثمه : تقبله أي : الخطاب . سحما : سوادًا .

(٧) البيت من الكامل ، برته : أنحلته . الوشاح : شبه قلادة تشده المرأة بين عاتقها وتشيحها : أي : لو جعلت وشاحي نقب لؤلؤة لجال جسمي فيه لنحوله . ديوانه : ١٣٩ .

وقول أحيحة بن الجلاح :

أهنت المال في الشهوات حتى أصارتني لسيفاً عَبْد عبـــــد [١]

٣ ــ جعل :

وردت (جعل) في اللسان العربي على معانٍ كثيـرة [٢] ، فقـد وردت بمعنى: وضع ؛ ولعلّ منه قوله تعالى: ﴿ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ﴾ [٣] أي : وضعها

وصنع : ومنه : جعلت هذا الباب من شجرة كذا أي : صنعته .

وألقى : ومنه : جعلت المتاع بعضه فوق بعض : ألقيته .

وظن : ومنه : جعل البصرة بغداد : ظنها إياها ، ونحو : اجعل الأسد ثعلبًا واهجم عليه [٤] .

وأخذ : نحو : جعل يفعل كذا أي : أخذ وأقبل . فهي ــ حينئذٍ ــ من أفعال الشروع نحو : طفق ، وعلق .

ونسب : نحو : جعلت زيدًا أخاك ، أي : نسبته إليك .

وعمل وهيّأ : نحو : جعلت لك بيتًا ، أي : عملته وهيّأته .

وخلق : ومنه قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ [٥] خلق وأوجد

واعتقد : ومنه قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا ﴾ [٦] فهي بمعنى الاعتقاد أو التصيير القولي [٧] .

وأوجب : جعلت للعامل كذا ، أي : أوجبت له كذا .

---

(١) ينظر : الأصمعيات : ٢٠ ، والبيت من الوافر .
(٢) اللسان : (ج ع ل) .
(٣) يوسف : ٧٠ .
(٤) البديع في علم العربية ٢ : ٤٤٧ .
(٥) الأنعام : ١ .
(٦) الزخرف : ١٩ .
(٧) الدر المصون ٩ : ٥٧٩ .

وسمّي : يقال : جعلت ولدي زيدًا : أي : سميته ومنه [١] قوله تعالى : ﴿ وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا ﴾ .

صيّر : نحو قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [٢]

وأنا أرى أن معنى الصيرورة في (جعل) أصل" يمكن إرجاع كثير من المعاني السابقة إليه ، باستحضارنا ضابط الصيرورة السالف ذكره ، وهو : جعل الشيء على صفته لم يكن عليها من قبل .

استعمالها :

واستعمال (جعل) بمعنى (صيّر) يقتضي دخولها على الجملة الاسمية فتنصب جزءيها مفعولين لها ، وقد وردت في القرآن الكريم بهذا المعنى بتصريفات مختلفة كما في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى ﴾ [٣] أي : صيّرها .

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ﴾ [٤] أي : صيره ، وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [٥] وقوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ [٦] فـ (الكاف) هي المفعول الأول لاسم الفاعل و (إماما) المفعول الثاني .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾ [٧] إلى غير ذلك من الآيات التي وردت فيها (جعل) وتصريفاتها بمعنى صيّر ، ولا تحتمل غيره .

---

(١) نص على هذا المعنى ابن أبي الربيع ينظر البسيط في شرح الجمل ١: ٤٣٤ .
(٢) الفرقان : ٢٣ .
(٣) التوبة : ٤٠ .
(٤) الفرقان : ٤٥ .
(٥) الممتحنة : ٥ .
(٦) البقرة : ١٢٤ .
(٧) ابراهيم : ٣٥ .

وقد وردت (جعل) في بعض الآيات محتملة معنى (خلق) ومعنى (صيّر) كما في قوله تعالى : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً ﴾ [١] فيحتمل أن تكون (جعل) بمعنى (صيّر) فـ (الأرض) مفعول أول ، و (فراشاً) مفعول ثان . ويحتمل أن تكون (جعل) بمعنى (خلق) وعليه فهي متعدية لمفعول واحد [٢] ، و (فراشاً) حال ، وقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً ﴾ [٣] فـ (جعل) تحتمل ـ كذلك ـ المعنيين ، والآيات على هذا النهج ـ أيضا ـ كثيرة .

ويوضح الزمخشري الفرق بين الفعل (جعل) بمعنى (خلق) والفعل جعل بمعنى (صيّر) فيقول :

" جعل يتعدى إلى مفعول واحد إذا كانت بمعنى (أحدث) ، و (أنشأ) ، كقوله : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ [٤] ، وإلى مفعولين إذا كان بمعنى (صيّر) كقوله : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا ﴾ [٥] والفرق بين الخلق والجعل ، أن الخلق فيه معنى التقدير ، وفي الجعل معنى التضمين ، كإنشاء شيء من شيء ، أو تصيير شيء شيئا ، أو نقله من مكان إلى مكان ، ومن ذلك : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [٦] " وجعل الظلمات والنور " ، لأن الظلمات من الأجرام المتكاثفة ، والنور من النار، ﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ [٧] ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا ﴾"[٨] [٩] .

---

(١) البقرة : ٢٢ .
(٢) ينظر شرح الكافية للرضي ٤ : ١٧٣ .
(٣) يونس : ٥ .
(٤) الأنعام : ١ .
(٥) الزخرف : ١٩ .
(٦) الأعراف : ١٨٩ .
(٧) النبأ : ٨ .
(٨) ص : ٥ .
(٩) الكشاف ٢ : ٣٢٠ .

واستشهاد الزمخشري على (جعل) بمعنى (صيّر) في قوله تعالـــى : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ﴾ لعله يقصد به تصـــوير ذلك في معتقدهم وتفكيرهم ، أي : صيروا تأنيث الملائكة عقيدة لهم .

وقد وردت (جعل) باستعمالاتها المختلفة [١] في القرآن الكريم مـــائتين وخمسين مرة تقريبًا مما يستلزم إفرادها بدراسة خاصة في النسق القرآني.

ومن استعمالها بهذا المعنى في الشعر العربي ، قول أبي العتاهية :

ما ضرّ من جعل التراب فراشه ... ألا ينام على الحرير إذا قنع [٢]

وقول عمر بن أبي ربيعة :

زعموا أنني بغيرك صـــبٌّ ... جعل الله من أُحِبُّ فداكـــا [٣]

٤ ــ اتخذ :

جاء في الصحاح [٤] : " والاتخاذ : افتعال من الأخذ ، إلا أنه أدغم بعد تليين الهمزة ، وإبدال التاء ، ثم لما كثر استعماله على لفظ الافتعال توهموا أن التاء أصلية فبنوا منه : فَعِل يَفْعَل ، قالوا : تَخِذ يتخذ ، وقـــــرئ : ﴿ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [٥] .

وفي اللسان : " قال الليث : يقال : اتخذ فلان مالاً اتخاذاً ، وتخذ يتخذ تخذاً ، وتخذت مالا أي : كسبته " [٦] .

وفيه أيضا : " تخذ الشيء تَخَذاً وتَخْذاً ، واتخذه : عمله ، وقوله عـــز وجل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ ﴾ [٧] أراد: اتخذوه إلها ، فحذف الثاني ؛

---

(١) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : ٢١٦ .
(٢) البيت من الكامل ، ديوانه : ٢٥٤ .
(٣) البيت من الخفيف ، ديوانه : ٢٠٠ .
(٤) الصحاح للجوهري (أ خ ذ) ٢ : ٥٥٩ .
(٥) الكهف : ٧٧ ، وقراءة (لتخذت) كطلحة ، منسوبة إلى ابن كثير ، وأبي عمرو ، ومجاهد ، ينظر : معاني القرآن للفراء ٢ : ١٠٦ ، الكشف ٢ : ٧٠ ، الإقناع ٤٢٣ .
(٦) اللسان (أ خ ذ) .
(٧) الأعراف : ١٥٢ .

لأن الاتخاذ دليل عليه ، وحكى سيبويه : استخذ فلان أرضا ، وهو استفعل منه ، كأنه : استتخذ فحذفت إحدى التاءين كما حذفت التاء الأولى من قولهم : تَقَى يتْقِي ، فحذفت التاء التي هي فاء الفعل ، قال ابن جني : وفيه وجه آخر ، وهو أنه يجوز أن يكون أصله : ائتخذ وزنه افتعل ، ثم إنهم أبدلوا من التاء الأولى التي هي فاء (افتعل) سينا ، كما أبدلوا التاء من السين في (ستٌ) فلما كانت السين والتاء مهموستين جاز إبدال كل واحدة منهما من أختها " [1] .

وفي المصباح المنير : " والاتخاذ : افتعال من الأخذ ، يقال : اتخذوا في الحرب إذا أخذ بعضهم بعضا، ثم ليّنوا الهمزة وأدغموا فقالوا : اتخذوا، ويستعمل بمعنى (جعل) " [2] .

وفي المفردات للراغب الأصفهاني[3] " والاتخاذ : افتعال منه — أي من الأخذ — ويعدي إلى مفعولين ويجري مجرى الجعل نحو قوله تعالى : ﴿لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء﴾ [4] ﴿ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء ﴾ [5] ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا﴾ [6] ﴿ أَأَنتَ قُلتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـهَيْنِ مِن دُونِ اللّهِ ﴾ [7] .

مما سبق من نصوص عن معنى (اتخذ) وأصلها يتبين لنا ما يلي :

١ — أن (اتخذ) — نص بعضهم — على أنها من الفعل (أخذ) ، وأصلها : ائتخذ ثم سهلت الهمزة ، وأبدلت الياء تاءً ، فصار : (اتخذ) على وزن (افتعل) ، فالتاء تاء الافتعال زائدة .

---

(١) اللسان : (ت خ ذ) .
(٢) المصباح المنير (أ خ ذ) .
(٣) ينظر المفردات في غريب القرآن ١ : ١٤ ، ١٥ .
(٤) المائدة : ٥١ .
(٥) الزمر : ٣ .
(٦) المؤمنون : ١١٠ .
(٧) المائدة : ١١٦ .

٢ ــ ذهب بعضهم إلى أن الأصل (تخذ) نحو : (تعب) فالتاء أصلية ، واتخذ الفعل منه ، فالتاء أصل من أصول الكلمة ، ومعناه أصلا : أخذ ، أو كسب .

٣ ــ أن الذي نص من العلماء على أن (اتخذ) بمعنى (الجعل) أي : التحويل ، والصيرورة : الفيومي في المصباح ، والراغب الأصفهاني في المفردات .

وقد نصَّ النحاة [١] على استعمال (اتخذ) بمعنى (صيّر) وعدُّوها من الأفعال المتعدية لمفعولين أصلهما المبتدأ والخبر ، واستشهدوا على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾ [٢]

فـ (إبراهيم) مفعول أول ، و (خليلا) مفعول ثان ، وضابط الصيرورة في الآية واضح فهو (كان بعد أن لم يكن) .

ومن شواهدهم كذلك ، قول الشاعر [٣] :

أبعد الذي قد لجَّ تتخذيني عدواً ، وقد جرّعتني السُّمَّ مُنقعا ؟

فالياء : مفعول أول ، وعدواً مفعول ثان .

وقد ذهب أبو علي الفارسي [٤] إلى أن (اتخذ) في التعدي على ضربين [٥] :

---

(١) ينظر : شرح التسهيل ٢ : ٨٢ ، التصريح ١٧٢/٢ ، شرح الكافية الشافية ١ : ٢٤٤ ، شرح الكافية للرضي ٤ : ١٧٣ ، شرح الشموني ٢ : ٢٥ ، التذييل والتكميل ٦ : ٤١ .

(٢) النساء : ١٢٥ .

(٣) غير معروف ، والبيت من الطويل ، وهو من شواهد شرح الكافية الشافية ١ : ٢٤٤ ، المخصص ٢ : ١٢ ، اللسان (ن ق ع)

(٤) هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان واحد زمانه في العربية ومن مصنفاته : الحجة ، والتذكرة والمسائل الحلبية والبغدادية والعسكرية وغيرها توفي ٣٧٧هـ . ينظر : البغية ١ : ٤٩٦ .

(٥) ينظر : الحجة للقراء السبعة ٢ : ٦٨ ـ ٦٩ .

أحدهما : أنه يتعدى إلى مفعول واحد ، والآخر : أنه يتعدى إلى مفعولين فأما تعديه إلى مفعول واحد فنحو قوله تعالى : ﴿ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ [٦] ، وقوله تعالى : ﴿ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ ﴾ [٧] ، وقوله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً ﴾ [٨] ، وقوله تعالى : ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّاتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا ﴾ [١] .

وأما ما يتعدى إلى مفعولين : فإن الثاني منهما الأول في المعنى ، لأن الجملة اسمية مكونة من مبتدأ وخبر والخبر هو المبتدأ في المعنى ، قال تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً ﴾ [٢] وقال تعالى : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [٣] ، ﴿ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا ﴾ [٤] وأما نحو قوله تعالى : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [٥] فإن (مِنْ) تحتمل أن تكون زائدة على قول من جوّز زيادتها في الإيجاب فيكون (اتخذ) متعديًا لمفعولين الأول : (مقام) فهو مجرور لفظاً منصوب محلاً ، والثاني (مصلى) وتحتمل الأصالة على قول من منع زيادتها في الإيجاب فيكون (اتخذ) متعديًا لمفعول واحد .

وقد ذهب ابن برهان [١] إلى أنها تتعدى إلى مفعولين دائمًا وقدر مفعولاً ثانيًا فيما ورد من آيات ظاهرها أن الفعل (اتخذ) تعدى لمفعول

---

(٦) الفرقان : ٢٧ .
(٧) الزخرف : ١٦ .
(٨) مريم : ٨١ .
(١) الأنبياء : ١٧ .
(٢) المنافقون : ٢ .
(٣) الممتحنة : ١ .
(٤) المؤمنون : ١١٠ .
(٥) البقرة : ١٢٥ .
(٦) هو أبو القاسم عبد الواحد بن علي العكبري كان أول أمره منجما ثم قدم بغداد واشتهر في النحو توفي ٤٥٦هـ . نزهة الألبا : ٢٣٤ .

واحد كما في قوله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [١] التقدير : اتخذوه إلها ، فحذف المفعول الثاني للدليل ، فكذا التقدير في ﴿ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ﴾ [٢] اتخذت من نسجها بيتا ، وفي قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا ﴾ [٣] أن نتخذ من شيء لهوا . قال ابن برهان : " ولا أعلم (اتخذ) إلا يتعدى إلى مفعولين الثاني منهما بمعنى الأول [٤] .

ومع أن (اتخذ) تفيد ما تفيده (جعل) التي بمعنى (صيّر) إذا انطبق عليها ضابط الصيرورة وتعمل عملها ، إلا أن هناك فرقًا بينهما كما ذكر ذلك أبو حيان حيث قال : " والفرق بينها وبين تصيير (جعل) أنه يعود من ذلك لنفسك من قبله شيء بحيث لا يتغير المفعول به تغييرًا في نفسه ، بخلاف (جعل) ، فإنه لا يلزم أن يكون فيه ذلك ، نحو : جعلت الرجل عالمًا ، فإنه لا يتعدى لنفسك من شيء ، وإذا قلت : اتخذته حبيباً وصاحبًا عاد عليك ، ألا ترى أنك لا تقول : اتخذت الطين خزفًا ، ولأن المفعول في (جعل) يتغير بشيء من جهته ، بخلاف هذا ، وقد تدخل فيه (من) كما في (جعل) كقوله تعالى : ﴿ أَلاَّ تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلاً ﴾ [٥] ، ﴿ وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ [٦] فيكون من هذا النوع [٧] أي : من التصيير

ويفهم من هذا الفرق الذي ذكره أبو حيان أن الفعل (اتخذ) بجانب دلالته الأصلية على الاقتناء والتحصيل والتناول فإنه يدل على التحويل والتصيير ، فإذا قلت : : اتخذت محمدا صديقًا .

---

(١) الأعراف : ١٤٨ .
(٢) العنكبوت : ٤١ .
(٣) الأنبياء : ١٧ .
(٤) ينظر : التذييل والتكميل ٦ : ٤١ ، ٤٢ وشرح التسهيل ٢ : ٨٢ ، ٨٣ .
(٥) الإسراء : ٢ .
(٦) البقرة : ١٢٥ .
(٧) التذييل والتكميل ٦ : ٤٢ ، ٤٣ .

المعنى : أنني اقتنيته فصيرته صديقًا ، وهذا معنى قول أبي حيان : أنه يعود من ذلك لنفسك من قبله شيء ، ولذلك فإن هذا المعنى (الصيرورة) هو الذي جعله يتعدى إلى مفعولين ، إلحاقًا بـ (جعل) ، أما إذا بقي الفعل دالاً على معنى الاقتناء ، أو الاكتساب فقط من غير الدلالة على الصيرورة فإنه يتعدى إلى واحد ، نحو : اتخذت دارًا ، أي : اقتنيتها ، أو اكتسبتها[1]

ولعلّ دافع النحاة إلى عدّهم الفعل (اتخذ) من أفعال التصيير أنها على وزن (افتعل) وهو من أوزان المطاوعة الدالة على التصيير نحو رددته فارتد ، وغممته فاغتم ، وشويت اللحم فاشتوى [2] .

وهذا ما كان واضحًا من كلام الجوهري ، وابن منظور حينما قالا : الاتخاذ افتعال من الأخذ .

وجدير بالذكر أنني رجعت إلى معظم كتب التفسير في قوله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً ﴾ [3] فلم أجد أحدًا ممن رجعت إلى كتبهم تطرق إلى معنى التصيير في الفعل (اتخذ) ، بل كان كلامهم كله يدور حول معنى الاصطفاء والاختصاص بهذه المكرمة لإبراهيم عليه السلام [4]

ولكني وجدت الشيخ الجمل [5] عند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴾ [6] يقول: " اتخذ : بمعنى : صنع ، فيتعدى لواحد ، أو بمعنى: صيّر ، والمفعول الأول محذوف ، أي : صيّر بعض مخلوقاته ولدًا ، إلا

---

(١) ينظر : الكافية الشافية ١ : ٢٤٤ .
(٢) ينظر : شرح الشافية للرضي ١ : ١٠٨ ، ١٠٩ .
(٣) النساء : ١٢٥ .
(٤) ينظر الكشاف ٢ : ١٥٣ ، البحر المحيط ٣ : ٣٧٢ ، الدر المصون ٤ : ٩٨ ، أبو السعود ٢ : ٢٣٦ ، البيضاوي ٣ : ٣١ ، حاشية الجمل ١ : ٤٢٨ ، الروح والريحان ٦ : ٣٧٠ .
(٥) هو سليمان بن عمر الأزهري من الفريية ت ١٢٠٤هـ . ينظر : الأعلام ٣ : ١٣١ .
(٦) البقرة : ١١٦ .

أنه مع كثرة ورود هذا التركيب لم يذكر معه إلا مفعول واحد : ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾ [١] ، ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ ﴾ [٢] ، ﴿ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴾ [٣] [٤] ، فذكر الشيخ الجمل أن (اتخذ) تكون بمعنى (صيّر) متعدية لمفعولين صراحة . والكلام نفسه مذكور في تفسير أبي السعود [٥] .

هذا وقد ورد الفعل (اتخذ) في القرآن الكريم بتصاريف مختلفة ، فقد ورد بلفظ الماضي كما في قوله تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [٦] وبلفظ المضارع كما في قوله تعالى:﴿ عَسَى أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا ﴾ [٧] وبلفظ الأمر كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ [٨] ، واسم الفاعل كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ [٩] ، والمصدر كما في قوله تعالى : ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ ﴾ [١٠] أي : باتخاذكم العجل إلها .

ومما تجدر الإشارة إليه ــ أيضا ــ أن الفعل (اتخذ) وتصاريفه فيه معنى الاعتمال والاكتساب ، فالمتخذ لا يمكن التفريط فيه بسهولة ، لأنه أخذ وتصيير .

---

(١) مريم : ٨٨ .
(٢) المؤمنون : ٩١ .
(٣) مريم : ٩٢ .
(٤) حاشية الجمل ١ : ٩٩ .
(٥) تفسير أبي السعود ١ : ١٥٠ .
(٦) النساء : ١٢٥ .
(٧) يوسف : ٢١ .
(٨) النحل : ٦٨ .
(٩) الكهف : ٥١ .
(١٠) البقرة : ٥٤ .

٥ ـ تَخِذَ :

في اللسان : " قال الليث : يقال : اتخذ فلانًا مالاً يتخذه اتخاذًا ، وتخِذَ يتْخذ تَخَذًا وتخذت مالا أي : كسبته " [١] .

وفيه أيضا : " تخذ الشيء تَخَذاً وتَخْذاً ، واتخذه : عمله " [٢]

وفي القاموس المحيط : " تَخِذَ يَتَخَذُ كعلِمَ يعلَم بمعنى : أخذ ، وقرئ (لَتَخِذْتَ) و (لاتخذت) وهو افتعل من (تَخذ) فأدغم إحدى التاءين في الأخرى " [٣] .

وفي أساس البلاغة في مادة (ت خ ذ) " اتخذه خليلا " [٤] فقط ، من غير تعليل .

وفي مفردات الراغب : " تَخِذ : بمعنى أخذ ، قال [٥] :

وقد تخذت رجلي إلى جنب غرزها نسيفًا كأفحوص القطاة المطرّق

واتخذ : افتعل منه [٦] .

من خلال ما سبق من نصوص يتبين لنا أن الفعل (تَخِذَ) في كتب اللغة يدور معناه بين الكسب ، والأخذ ، والعمل .

إلا أنني وجدت في المصباح نصًا يفيد استعمالها بمعنى التصيير ، يقول الفيومي : " وقالوا : اتخذت زيدًا صديقًا ، من باب (تعب) إذا جعلته كذلك ، والمصدر : تخَذًا بفتح الخاء وسكونها ، وتخذت مالاً :

---

(١) اللسان (أ خ ذ) وينظر : الصحاح ٢ : ٥٥٩ .
(٢) المصدر نفسه : (ت خ ذ) .
(٣) القاموس المحيط : (ت خ ذ) ١ : ٣١٤ .
(٤) أساس البلاغة ١ : ٩١ (ت خ ذ) .
(٥) هو السمرق العبدي ، وهو من الطويل ، والغرز : الرجل من جلد ، والنسيف : أثر ركعن الرجل بجانبي البعير ، والقطاة المطرق : التي حان خروج بيضها ، والأفحوص : مجثمها ، ينظر : الحجة لأبي علي الفارسي ٢ : ٦٨ ، الخصائص ٢ : ٢٨٧ ، البحر ٦ : ١٤٤ ، الدر المصون ١ : ٣٥٥ .
(٦) المفردات في غريب القرآن ١ : ٩٥ .

كسبته " [١] .

وقد نص النحاة على استعمال (تخذ) بمعنى (صيّر) مستشهدين على هذا بقوله تعالى : ﴿ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ [٢] بقراءة تخفيف التاء ، وكسر الخاء [٣] .

وبرجوعي إلى كتب التفسير والإعراب لم أجد من العلماء من نص على أن (تخذ) في الآية بمعنى (صيّر) ، ولا حتى على قراءة (اتّخذ) .

فها هو الفراء يقول : " فقال موسى : لو شئت لم تفعله حتى يقروفا فهو الأجر ، وقرأ مجاهد : (لو شئت لتخذت عليه أجرا) ... وأصلها اتخذ : افتعل " [٤] .

ويقول الزجاج : " فقال موسى : لو شئت لأخذت أجرة إقامتك هذا الحائط ويقرأ : لتّخذت عليه أجرا ، يقال : تخذ يتخذ في : اتخذ يتّخذ ، وأصل تخذت : أخذت ، وأصل اتخذت : افتخذت " [٥] .

ويقول الزمخشري : " لتّخذت ــ بالتشديد في التاء وفتح الخاء ــ طلبت على عملك جعلاً نتعش ونستدفع به الضرورة ، وقرئ : (لتخذت) والتاء في (تخذ) أصل كما في (تبع) ، و (تخذ) : افتعل منه ، كاتبع من تبع ، وليس من الأخذ في شيء " [٦] أي : ليس من باب الافتعال من الفعل (أخذ) ؛ لأن التاء فيه أصلية . وأما في (أخذ) فإنها ستكون زائدة .

---

(١) المصباح المنير (أ خ ذ) .
(٢) الكهف : ٧٧ .
(٣) قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو ، ومجاهد . ينظر : معاني القرآن للفراء ٢ : ١٠٦ ، الكشف ٢ : ٧٠ ، الإقناع : ٤٢٣ .
(٤) معاني القرآن للفراء ٢ : ١٥٦ .
(٥) معاني القرآن للزجاج ٣ : ٣٠٧ .
(٦) الكشاف ٣ : ٦٠٦ ، وينظر البحر ٦ : ١٤٤ .

ويقول العكبري : " لتَخِذْتَ : ..... وهو من تخذ يَتْخَذُ : إذا عمل شيئا ، ويقرأ بالتشديد وفتح الخاء وفيه وجهان : أحدهما : هو افتعل من تخذه ، والثاني : أنه من الأخذ وأصله : ايتخذ ، فأبدلت الياء تاء وأدغمت، وأصل الياء الهمزة " [1] .

وفي البيضاوي : " وقرأ ابن كثير والبصريان : لتَخِذْتَ ، أي : لأخذت[2] .

ويقول السمين : " والفعل هنا على القراءتين متعد لواحد لأنه بمعنى الكسب " [3] .

ويقول الفارسي : " ولم أعلم (تخذت) تعدى إلا إلى مفعول واحد [4] .

فهذه نصوص نقلتها من كتب التفسير والإعراب لم نَرَ فيها اتجاها يفسر (تخذ أو اتخذ) في الآية الكريمة ــ التي استشهد بها النحاة على معنى الصيرورة وإنما تفسيراتهم متجهة إلى طلب الأجرة وأخذها مقابل هذا العمل الذي قام به الخضر عليه السلام وهو بناء الجدار .

والحق معهم في ذلك ، فإن ضابط الصيرورة وهو كون الشيء على صفة لم يكن عليها من قبل غير منطبق على القراءتين فتفسير الفعل عليهما بمعنى الطلب أو التحصيل أو الأخذ واضح جدا ومقبول ويقوي هذا أنه تعدى إلى مفعول واحد فقط .

---

(١) إملاء ما من به الرحمن ٢ : ١٠٧ .
(٢) تفسير البيضاوي ٣ : ٣٩٠ ، وينظر أبو السعود ٥ : ٢٣٧ ، الروح والريحان ١٧ : ٢٤ .
(٣) الدر المصون ٧ : ٥٣٥ .
(٤) الحجة ٢ : ٦٨ .

وأقول ... متى ما كان ضابط الصيرورة حاصلاً فلا مانع من جعل الفعل (اتخذ ، أو تخذ) بمعنى (صيّر) كما في نحو : اتخذت عليا صديقًا ، وتخذته صديقًا ، وإلا فلا .

يقول الرضي في هذا الشأن : " ومرادفات (صيّر) قد تخرج من هذا الباب وذلك إذا لم تكن بمعناه ... وتخذ واتخذ أي : أخذ "[1] .

يؤكد هذا ما قاله ابن مالك في شرح الكافية الشافية :

... (وتخذتُ) و (اتخذْ) ❊ إن أفهما معنى عن الكسب انتبذ[2]

ويقول : " واحترزت بقولي بعد تخذتُ ، واتخذ ... من تخذ ، واتّخذ ، بمعنى : اكتسب فإنهما متعديان إلى مفعول واحد "[3]

مع أنه في شرح التسهيل[4] استشهد بقراءة (لتخذْت) على معنى التصيير حيث قال : " وتخذ ، كقوله تعالى : ﴿ لتخذْت عليه أجرا ﴾ واستشهد النحاة على أن (تخذ) بمعنى (صيّر) في قول الشاعر[5] :

تخذتْ غرازَ إزَرهمُ دليلا ❊ وقرّوا في الحجاز ليعجزوني

٦ ــ ترك :

جاء في اللسان : " الترك : ودعك الشيء ، تركه يتركه تركا وتَركه وتركت الشيء تركا خليته ، والترك الإبقاء في قوله تعالى : ﴿ وتَرَكْنا

---

(١) شرح الكافية ٤ : ١٧٣ بتصرف .
(٢) الكافية الشافية ١ : ٢٤٠ .
(٣) المصدر نفسه ١ : ٢٤٤ .
(٤) شرح التسهيل ٢ : ٨٢ .
(٥) هو أبو جندب بن مرة الهذلي ، والبيت من الوافر ـ وغرار ، وفي العيني على حاشية الصبان ٢ : ٢٥ : غراز : بضم الغين وتخفيف الراء وفي آخره زاي : اسم واد وروية الكافية الشافية (غران) ، (وقروا) بدل (قروا) ١ : ٢٤٤ ، شرح التسهيل ٢ :٨٢ ، الأشموني ٢ : ٢٥ ، شرح التصريح ١ : ٢٥٢ ، لسان العرب (حجز) ، أوضح المسالك ٢: ٥١ وينظر " ديوان الهذليين ٣ : ٩٠ .

عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ [١] أي : أبقينا عليه ..... وقال ابن الأعرابي : الترك الجعل في بعض اللغات ، يقال : تركت الحبل شديدًا ، أي : جعلته شديدًا ، قال : ولا يعجبني " [٢] .

وفي أساس البلاغة : " وفتل الحبل حتى تركه شديدًا " [٣]

فالقول بمعنى التصيير في (ترك) واضح جدًا ـ كما نرى ـ في كلام الزمخشري في (تركه شديدا) أي : صيره وجعله شديدًا .

وفي نقل ابن منظور عن ابن الأعرابي نص صريح على أن استعمال (ترك) بمعنى (جعل) لغة من لغات العرب ، وإن كان لا يعجبه هذا الاستعمال أي : نصب الجزءين على أنهما مفعولان لها ، وعليه فإن المنصوب الثاني يعرب حالاً . لا مفعولا .

وقد اختلف النحاة في عدّ الفعل (ترك) بمعنى (صيّر) ناصبًا لمفعولين أصلهما المبتدأ والخبر [٤] ، فمنهم من ذهب إلى المنع وجعلها متعدية إلى مفعول واحد فقط ، والمنصوب الثاني يعرب حالاً ، ومنهم من جوز مجيئها بمعنى (صيّر) وهو اختيار كثير من النحاة ، منهم ابن مالك [٥] ، واستشهد على ذلك بقول الشاعر [٦] :

وربيته حتى إذا ما تركته ... أخا القوم واستغنى عن المسح شاربه

فالهاء مفعول أول ، وأخا القوم مفعول ثان ، والذي يؤيد هذا أن الحال لا تكون معرفة إلا بتأويل فكون (أخا القوم) مفعولا ثانيا أولى من كونها

---

(١) الصافات : ٧٨ .
(٢) اللسان : (ترك) .
(٣) أساس البلاغة ١ : ٩٤ (ترك) .
(٤) ينظر : التذييل والتكميل ٦ : ٤١ ، حاشية يس على التصريح ١ : ٢٥٢ .
(٥) ينظر : شرح التسهيل ٢ : ٨٢ ، شرح الكافية الشافية ١ : ٢٤٤ .
(٦) هو : فرعان بن الأعرف ، والبيت من الطويل ، والبيت من شواهد شرح التسهيل ٢ : ٨٢ ، شرح الكافية الشافية ١ : ٢٤٤ ، الأشموني ٢ : ٢٥ ، ابن عقيل ١ : ٢٩١ .

حالا .

والرضي ، وإن كان لم يستشهد على ذلك حيث يقول : " وأما غير أفعال القلوب مما ينصب جزأي الجملة بتقدير المصدر فهو : صيَّر ، ومرادفها من : جعل ، وهبْ (غير متصرف) ، وردّ ، وترك ، وتخذ ، واتخذ [1] .

ومن النحاة القائلين بمجيئها بهذا المعنى ابن هشام [2] واستشهد لها بقوله تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ [3]

وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [4] يقول الزمخشري : " وتركهم في ظلمات : أصله : هم في ظلمات ، ثم دخل (ترك) فنصب الجزأين " [5] .

فالزمخشري يصرح بأن (ترك) في الآية بمعنى (صيّر) وأنها دخلت على المبتدأ في الخبر فنصبتهما مفعولين .

ويختار هذا الاتجاه أبو حيان فيقول : " الترك : التخلية ، اترك هذا ، ب : خلّه ودعه ، وفي تضمينه معنى التصيير ، وتعديته إلى اثنين خلاف، أصح جواز ذلك " [6] .

والكلام نفسه في الدر المصون ، ويختار مذهب التضمين ، ويؤكد اتجاهه بقول الشاعر [7] :

---

(١) شرح الكافية ٤ : ١٧٢ ، وينظر الهمع ١ : ١٥٠ شرح المكودي على الألفية ١ : ٢٥٢ ، شرح المرادي ١ : ٥٥٨ .
(٢) أوضح المسالك ١ : ٥١ .
(٣) الكهف : ٩٩ .
(٤) البقرة : ١٧ .
(٥) الكشاف ١ : ١٩٤ .
(٦) البحر المحيط ١ : ٢٠٨ .
(٧) هو العباس بن مرداس ، أو خفاف بن ندبة ، أو زرعة بن السائب ، أو عمرو بن معد يكرب والبيت من البسيط ، والنشب المال الثابت ، ينظر الكتاب لسيبويه ١ : ٦٢ ، الأمالي الشجرية ٢ : ١٣٣، المحتسب ١ : ٥١ ، الهمع ٢ : ٨٢ ، الدر المصون ١ : ١٦٣ .

أمرتك الخير فافعل ما أمرت به فقد تركتك ذا مال وذا نشـــــب

أي : صيّرتك ذا مال .

ثم يقول : " فإن قلنا : هو متعد لاثنين كـان المنصـوب الأول هـو الضمير ، والمفعول الثاني : في ظلمات ، و (لا يبصرون) حال ، وهـي حال مؤكدة ، لأن من كان في ظلمة فهو لا يبصر " [1]

وعند قوله تعالى : ﴿ فتركه صلدا ﴾ [2] قال السمين : "كقوله : وتركهم في ظلمات " [3]

الفرق بين (ترك) بمعنى (فارق) و (ترك) بمعنى (صير) :

وأصل الترك : المفارقة ، كقولنا : تركت البلد ، أي : فارقتها ، ولكن الغالب في هذا الاستعمال أن يذكر معه الحال سواء من الفاعـل فيقـال : تركت البلد مسافرًا ، أو مهاجرًا ، أو من المفعول وهو الغالـب الكثيـر ، فيقال : تركت البلد متقدمة ، أو متأخرة ، أو ناهضة ، أو .... وهنا يكمن الفرق بين (ترك) بمعنى (فارق) ، و (ترك) بمعنى (صيّر) ، فـإذا كـان (ترك) يعني مجرد المفارقة والتخلي فهو متعد لواحـد ، والثـاني يكـون منصوبًا على الحالية .

وإذا كان يعني التحويل والجعل من حال إلى حال ، وصيرورة شـيء على حال لم يكن عليها من قبل وحتى لو كان على سبيل المجاز فهـو إذا ناصب لمفعولين أصلهما المبتدأ والخبر ، يقول الرضـي : " ومرادفـات (صيّر) قد تخرج من هذا الباب (الصيرورة) وذلك إذا لم تكن بمعناه كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴾ [4] أي : خلق ، ووهب أي : أعطى ،

---

(١) الدر المصون ١ : ١٦٣ .
(٢) البقرة : ١٧
(٣) الدر المصون ٢ : ٥٨٨ .
(٤) الأنعام : ١ .

ورده أي : جعله راجعا ، وترك أي : خلّى ، وتخذ واتخذ أي : أخذ " [١] .

ثم يقول : " وذلك لما ذكرنا أن معنى (صار) : كان بعد أن لم يكن " [٢]

ويزيد صاحب التحرير والتنوير الأمر وضوحًا فيقول : " وحقيقة الترك مفارقة أحد شيئا كان مقارنا له في موضع وإبقاؤه في ذلك الموضع، وكثيرًا ما يذكرون الحال التي ترك الفاعل المفعول عليها ، وفي هذا الاستعمال يكثر أن يكون مجازًا عن معنى (صيّر أو جعل) ، قال النابغة :

فلا تتركني بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطليٌّ به القار أجرب [٣]

أي : لا تصيرني بهذه المشابهة .. وقول عنترة :

جادت عليها كلُّ عين ثرّةٍ ... فتركن كلَّ قرارةٍ كالدرهم [٤]

يريد : صيرّن .

والأكثر أن يكنى به في هذا الاستعمال عن الزهادة في مفعوله كما في بيت النابغة ، أو عن تحقيره كما في الآية ــ يقصد قوله تعالى : ﴿ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ ﴾ [٥]

والفرق بين ما يعتبر فيه معنى (صيّر) حتى يكون منصوبه الثاني مفعولاً، وما يعتبر المنصوب الثاني معه حالا ، أنه إن كان القصد إلى الإخبار بالتخلية والتنحي عنه فالمنصوب الثاني حال ، وإن كان القصد أولا على ذلك المنصوب الثاني وهو محل الفائدة فالمنصوب الثاني مفعول، وهو في معنى الخبر فلا يحتمل واحد منهما غير ذلك معنى وإنْ احتمله لفظا " [٦] .

---

(١) شرح الكافية ٤ : ١٧٣ .
(٢) المصدر نفسه : الجزء نفسه والصفحة نفسها .
(٣) البيت من الطويل القار : القطران الذي يطلي به البعير ليشفى من الجرب ، ديوانه : ١٩
(٤) البيت من الكامل جادت : المقصود : أمطرت ، والعين : مطر دائم ، ثرة : غزيرة ديوانه : ١٩٦
(٥) البقرة : ١٧ .
(٦) التحرير والتنوير ١ : ٣١١ .

معنى ذلك ، أنه متى ما كان المعنى مع الفعل (ترك) يتطلب المنصوب الثاني ولا يستغنى عنه فهو بمعنى (صيّر) على أساس أن المفعول الثاني هو الخبر أصلاً ولا يتم المعنى إلا به ، وإذا ما استغنى عن المنصوب الثاني واكتفى بالأول فهو بمعنى (فارق أو تخلّى) والاستغناء عن المنصوب الثاني دليل على فضلاته فهو إذاً حال .

ففي قوله تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ [١] كان ابن هشام موفقاً جداً في استشهاده بهذه الآية الكريمة على أن (ترك) بمعنى (صيّر) [٢] وأن (بعضهم) مفعول أول ، وجملة يموج في بعض في محل نصب مفعول ثان ، لأن الفعل (ترك) محتاج في تمام المعنى إلى هذه الجملة لأنها خبر في الأصل ، إذ لا يصح أن يوقف على (بعضهم) فيقال : (وتركنا بعضهم) وإلا فما الغرض من هذا الترك لبعضهم ؟ وما الفائدة ؟ إذاً لابد من إتمام الكلام والمعنى بقوله تعالى ﴿ يموج في بعض ﴾ إذ الأصل : بعضهم يموج في بعض .

ولذلك أنا لست مع من ذهب إلى أن جملة (يموج في بعض) حال [٣] حيث إن الحال فضلة يمكن الاستغناء عنها ، وقد رأينا عدم إمكانية ذلك في الآية الكريمة .

ولا يخفى أن مع إفادة (ترك) في الآية التصيير : إفادة المفارقة والتخلي بتحقير ــ أيضا ــ كما ذكر ذلك الطاهر بن عاشور رحمه الله .

---

(١) الكهف : ٩٩ .
(٢) أوضح المسالك ١ : ٥١ وينظر : حاشية الجمل ٣ : ٤٥ .
(٣) ينظر : حاشية يس على التصريح ١ : ٢٥٢ .

٧ ــ ردّ :

جاء في اللسان : " والرد صرف الشيء ورجعه ، والـرد : مصـدر رددت الشيء ، ورده عن وجهه يرده ردّا ومردّا ونردادّا صرفه .. " [١]

وفي الصحاح : " رده عن وجهه يرده ردّا ومردّا : صرفه ، وقـال الله تعالى : ﴿ فَلاَ مَرَدَّ لَهُ ﴾ [٢] [٣]

والكلام نفسه في أساس البلاغة [٤] .

وهكذا لم نر ذكرًا لمعنى التصيير فيما نقلته مـن اللسـان والصـحاح وأساس البلاغة ، ولكني وجدته في المعجم الوسيط حيث ورد فيه : " وردّ الشيء : حوله من صفة إلى صفة ، ومنه قول الشاعر :

فرد شعورهن السود بيضًا ورد وجوههن البيض سودًا [٥]

وعند حديث الراغب الأصفهاني عن الفعل (ردّ) لم يذكر ــ أيضا ــ معنى الصيرورة فيه ، وإنما اقتصر على معنى الصرف ، والرجوع حيث يقول : " الرد : صرف الشيء بذاته أو بحالة من أحواله ، يقال : رددتـه فارتد ، ... فمن الرد بالذات قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَـا نُهُـواْ عَنْهُ ﴾ [٦] .. وقوله تعالى ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ ﴾ [٧] ... ومن الرد إلى حالة كان عليها قوله تعالى : ﴿ يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ﴾ [٨] ، ﴿ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ

---

(١) اللسان : (ردد) .
(٢) الرعد : ١١ .
(٣) الصحاح للجوهري : ردد ٢ : ٤٧٣ .
(٤) أساس البلاغة : (ردد) ١ : ٣٤٧ .
(٥) المعجم الوسيط : (ردد) ٣٣٧ .
(٦) الأنعام : ٢٨ .
(٧) القصص : ١٣ .
(٨) آل عمران : ١٤٩ .

فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ ﴾ [١] فلا دافع له ولا مانع له .... وقوله تعالى : ﴿ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً ﴾ [٢] أي : يرجعونكم إلى حال الكفر بعد أن فارقتموه ، وعلى ذلك قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ [٣] والارتداد ، والردة : الرجوع في الطريق الذي جاء منه ، لكن الردة تختص بالكفر ، والارتداد يستعمل فيه وفي غيره [٤] .

وهكذا لم نرَ نصًا صريحًا في استعمال (ردّ) بمعنى (صيَّر) في كتب اللغة والمعاجم إلا ما رأيناه في المعجم الوسيط .

وقد نصّ النحاة على استعمال (ردّ) بمعنى صيَّر [٥] ناصبة لمفعولين مستشهدين على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً ﴾ [٦] .

فالمفعول الأول : هو ضمير الخطاب ، والثاني : كفارًا ...

فقد ذكر أبو حيان هذا الوجه ، وضعف الوجه الثاني من إعراب (كفارًا) حيث ذهب بعضهم إلى إعرابها حالاً معديًا الفعل (ردّ) إلى مفعول واحد ، وعلل تضعيفه له " بأن الحال مستغني عنها في أكثر مواردها ، وهذا لابد منه في هذا المكان " [٧] .

---

(١) يونس : ١٠٧ .
(٢) البقرة : ١٠٩ .
(٣) آل عمران : ١٠٠ .
(٤) المفردات بتصرف ١ : ٢٥٤ ـ ٢٥٥ ، وينظر : بصائر ذوي التمييز ٣ : ٥٩ .
(٥) ينظر : شرح الكافية للرضي ٤ : ١٧٢ ، شرح التسهيل ٢ : ٨٢ ، شرح الكافية الشافية ١ : ٢٤٣ ، التذييل والتكميل ٦ : ٤١ ، الهمع ١ : ١٥٠ ، شرح ابن عقيل ١ : ٣٩٢ ، الأشموني ٢ : ٢٥ ، أوضح المسالك ١ : ٥١ .
(٦) البقرة : ١٠٩ .
(٧) البحر ١ : ٥١٨ .

وممن ذهب إلى إعراب (كفارًا) حالاً ابن الأنباري [١] ، والعكبري [٢] والحق مع أبي حيان حين ضعف هذا التوجيه ، لأن المفعول الثاني مستتم للمعنى ولا يستغني عنه حيث لا يصح الوقوف على (يردونكم) من غير أن يذكر الثاني (كفارًا) إذ به يتم المعنى والفضلية فيه غير واضحة .

وقد ضعف السمين الحلبي ــ أيضا ــ إعراب العكبري (كفارًا) حالاً [٣]، واقتصر القرطبي على وجه واحد وهو كونه مفعولاً ثانيا [٤]

واستشهدوا كذلك بقول الشاعر [٥] :

رمى الحَدَثَانِ نسوةَ آلِ حربٍ ... بمقدار سَمَدْنَ له سُمُودا

فردَّ شعورهن السود بيضا ... ورد وجوههن البيض سودا

أي : صيّر شعورهن السود بيضًا ، وصير وجوههن البيض سودا .

ويمكن أن يستشهد على ذلك ــ أيضا ــ بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [٦]

فضمير المخاطب مفعول أول ، و (كافرين) مفعول ثان .

قال أبو حيان : " الردّ هنا : التصيير أي : يصيرونكم .... وانتصاب (كافرين) على أنه مفعول ثان لـ (يرد) لأنها بمعنى صيّر [٧]

---

(١) ينظر : البيان ١ : ١١٨ .
(٢) إملاء ما من به الرحمن ١ : ٥٧ .
(٣) القرطبي ٢ : ٧٠ .
(٤) الدر المصون ٢ : ٦٧ .
(٥) هو عبد الله بن الزبير رضي الله عنه ، والبيت من الوافر ، وهو ثان الدهر : تجدد مصائبه ، سَمَدْن : حَزِنّ . والشاهد في شرح التسهيل ٢ : ٨٢ ، التذييل ٦ : ٤١ ، الكافية الشافية ١ : ٢٤٣ ، الأشموني ٢ : ٢٥ ، البحر المحيط ٣ : ١٧ ، الدر المصون ٢ : ٦٧ .
(٦) آل عمران : ١٠٠ .
(٧) البحر ٣ : ١٧ .

وإنني ألمح فرقًا بين (صيَّر) و (ردّ) ، أن الفعل (صيَّر) ــ كما ذكرنا ــ يدل على تحول الشيء من صفة إلى صفة أخرى لم يكن عليها ، والفعل (ردّ) يدل على التحول ولكن إلى حالة سابقة ، وهذا هو سرُّ التعبير به في القرآن الكريم .

يقول الطاهر بن عاشور : " وفي هذا المعنى المكتنز ما يدلكم على وجه التعبير بـ (يردونكم) دون لو (كفرتم) ؛ ليشار إلى أن ودادتهم أن يرجع المسلمون إلى الشرك ؛ لأن الرد إنما يكون على أمر سابق " [1] .

ويفهم هذا المعنى ــ أيضا ــ من بيت عبد الله بن الزبير وإن لم يكن باللفظ ، إنما بالمعنى ، يقصد أن نسوة آل حرب صرن إلى ما كن عليه من ضعف ، وشحوب في الوجه ، ودمامة في الخلقة .

كما أن التعبير عن الصيرورة بالفعل (ردّ) فيه معنى الاعتمال ، والمحاولة مرة بعد مرة ، فأهل الكتاب يحاولون ذلك الرد بما أتيح لهم من وسائل ، كما أن معاودة المصائب على نسوة آل حرب متتالية ومتتابعة حولتهن من حال إلى حال من حال النضارة والحيوية ، إلى حال الضعف والهزال والشحوب .

٨ ــ وهب :

جاء في اللسان : " حكى ابن الأعرابي : وهبني الله فداك ، أي : جعلني فداك " [2] وهي لا تتصرف ، إذ لم يستعمل فيها بمعنى (صيَّر) إلا الماضي فقط [3] ، ولم أعثر لها على شاهد في اللسان العربي إلا هذه الحكاية .

---

(١) التحرير والتنوير ١ : ٦٧٠ .

(٢) اللسان (وهب) .

(٣) ينظر تهذيب اللغة للأزهري ٦ : ٤٦٣ ، شرح التسهيل ٢ : ٨٢ ، شرح الكافية الشافية ١ : ٢٤٣ ، التذييل والتكميل ٦ : ٤٠ ، الهمع ١ : ١٥٠ ، ابن عقيل ١ : ٣٩١ ، الأشموني ٢ : ٢٥ .

ملحقات بالباب :

ضرب :

ذهب ابن أبي الربيع إلى أن (ضَرَب) تأتي متعدية لاثنين مطلقا سواء كانت مع المثل ، أو غيره ، وهي ـ حينئذٍ ـ بمعنى (صيّر) حيث يقول : " وكذلك (ضرب) ، تقول : ضربت الذهب سوارًا ،ومن هذا قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلاً مَّا بَعُوضَةً ﴾ [1] فهذه كلها من باب (ظننت) ، لأنك إذا أسقطت الفعل والفاعل بقي مسندًا ومسندًا إليه ، فتأمل هذا فإنه صحيح " [2] .

فعلة ابن أبي الربيع في استعمال (ضرب) بهذا المعنى : أنه داخل على الجملة الاسمية ، وإذا سقط الفعل مع فاعله بقيت الجملة بركنيها المبتدأ والخبر ، وينظّر لهذا بقوله :

" وتقول : اتخذت زيدًا صاحبًا ، لأنك لو أسقطت (اتخذت) لبقي مسندًا ومسندًا إليه [3]

فالضابط عنده لاستعمال (ضرب) بمعنى (صيّر) مجرد دخوله على الجملة الاسمية .

وردّ ابن مالك هذا الإلحاق ولم يقبله ، وعلل ذلك بأن الفعل (ضرب) يجوز بناؤه للمجهول ، وأفعال الباب لا تقبل هذا البناء .

يقول ابن مالك : " وألحق قوم بأفعال هذا الباب (ضرب) المتعلقة بالمثل ، والصواب أن لا تلحق بها لقوله تعالى : ﴿ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ﴾ [4] فبني (ضرب) لما لم يسم فاعله ، ولكثرت بمرفوعها ، ولا يقبل

---

(١) البقرة : ٢٦ .
(٢) البسيط في شرح الجمل ١ : ٤٣٤ ، ينظر : الهمع ١ : ١٥١ ، شرح الكافية الشافية ١ : ٢٤٤
(٣) المصدر السابق : الجزء نفسه والصفحة نفسها .
(٤) الحج : ٧٣ .

ذلك بشيء من أفعال هذا الباب " [١] .

وذهب العلامة الرضي إلى جواز أن يكون الفعل (ضـرب) بمعنـى (بيّن) فهو متعدٍ لواحد ، والمنصوب بعده عطف بيان [٢] .

ويجوز أن يكون بدلاً [٣] مطابقًا ، إلا أن الرضي يجعل عطف البيـان والبدل شيئًا واحدًا [٤] فلم يذكر البدل .

وأنا أميل إلى هذا الوجه الذي ذكره العلامة الرضي بناءً على ضـابط الصيرورة وهو حصول الشيء بعد أن لم يكن وهذا مع الفعل (ضرب) في المثل .

أما استعماله بمعنى (صيّر) في نحو : ضربت الذهب سوارًا ، والفضة خاتمًا فمعنى الصيرورة فيه واضح .

أكان :

ألحق ابن أفلح [٥] بالفعل (أصار) الفعل : (أكان) المنقول من (كـان) بمعنى (صار) ، وعليه يجوز أن يقال : أكان الصانع الخشب بابًـا . أي : أصار .

وقال ابن مالك عن هذا الإلحاق : " وما حكم به جائز قياسًا لا أعلمـه مسموعًا " [٦] .

---

(١) شرح التسهيل ٢ : ٨٥ .
(٢) شرح الكافية ٤ : ١٧٣ .
(٣) ينظر النسفي ٢ : ٢٩٤ .
(٤) ينظر شرح الكافية ٢ : ٣٧٩ .
(٥) هو خلف ابن أفلح أبو القاسم الطرطوشي مولى بني ميسّر مقرئ نحوي ، أخذ القراءات عن أبي عمرو الداني . تنظر ترجمته في بغية الوعاة ١ : ٥٥٤ ، وينظر رأيه في الهمع ١ : ١٥١ ، شرح التسهيل ٢ : ٨٣ ، التذييل ٦ : ٤٣ .
(٦) شرح التسهيل ٢ : ٨٣ ، وينظر : الارتشاف ٣ : ١١٠٥ .

وقد مال الرضي إلى جواز الاستعمال رغم وروده بقلة ، اعتمادًا على حصول معنى الصيرورة فيه ، حيث يقول : " وأما (كان) فهو قليل الاستعمال لكنه لا يجئ إلا بمعنى (صيّر) ، وذلك لما ذكرنا أن معنى (صار) : كان بعد أن لم يكن ، ومعنى (أكان) : جعله كائنا ، فحصل من الهمزة معنى نقل غير الكائن على الكون وهو معنى التصيير ، ولم يستعمل (كوّن) متعديًا إلى مفعولين " [١] .

نبذ :

نسب الشيخ يس [٢] إلى ابن هشام رأيًا في الفعل (نبذ) أنه يتعين أن يكون بمعنى (صيّر) في قوله تعالى : ﴿ نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم ﴾ [٣] ، فـ (كتاب) مفعول أول . و (وراء) مفعول ثان ، وذكر صحته في الاتجاه إلى هذا المعنى والإعراب لتعذر جعل (وراء) ظرفًا لـ (نبذ) ؛ لأن الظرف لابد أن يكون حاويًا لفاعل العامل فيه ، والنابذون غيركائنين وراء ظهورهم [٤] .

وقد رفض العلامة الصبان[٥] هذا الاتجاه ، ولم يسلم بإلحاق (نبذ) بالفعل (صيّر) ، وردّ على هذه الحجة المذكورة بقوله : " فالحق أن الظرف تارة يحوى الفاعل كـ : دعوت الله في المسجد ، وتارة يحوى المفعول نحو : أبصرت الهلال في السماء بين السحاب ، وتارة يحويهما معًا كـ : ضربت زيدًا في السوق ، فلا نسلم إلحاق (نبذ) بأفعال التصيير [٦]

---

(١) شرح الكافية ٤ : ١٧٣ .

(٢) هو يس بن زين الدين ولد بحمص ووفد إلى مصر فأخذ عن الدنوشري وغيره توفي ١٠٦١هـ بالقاهرة .

(٣) البقرة : ١٠١ .

(٤) حاشية يس على التصريح ١ : ٢٥١ .

(٥) هو أبو العرفان محمد بن علي ولد بالقاهرة ونشأ فيها ألف الكافية الشافية في العروض والحاشية المشهورة . توفي ١٢٠٦هـ . ينظر : الأعلام ٦ : ٢٩٧ .

(٦) حاشية الصبان على الأشموني ٢ : ٢٥ بتصرف يسير .

وأنا أميل إلى ما ذهب إليه العلامة الصبان لأمرين :

أولهما : أن ضابط الصيرورة غير واضح فيه .

والثاني : أنني لم أعثر على معنى التصيير في الفعل نبذ ، بل المادة تدور حول الطرح والرمي والإبعاد [١] .

ألحق هشام [٢] بهذا الباب : عرف وأبصر ، وألحق ابن دستوريه [٣] أصاب وصادف وغادر ، وألحق بعض النحاة (خلق) بمعنى (جعل) كقوله تعالى : ﴿ وخلق الإنسان ضعيفا ﴾ [٤] ، ولكن الجمهور أنكر ذلك وجعلوا المنصوب الثاني في الجميع حالاً [٥] .

وذهب الرضي إلى جواز إلحاق (غادر) بـ (صير) نحو : غادرته صريعًا ، بمعنى صيّرته ، ويجوز في (صريعًا) أن يكون حالاً ؛ لأنه نكرة ويكون ـ حينئذ ـ غادر بمعنى خلف وخلّى .

وإذا كان المنصوب الثاني معرفة كما في قول عنترة [٦] :

غادرتُه جَزْرَ السباعِ يَنُشْنَهُ ما بين قُلَّةِ رأسِهِ والمعصَمِ

فالحاق (غادر) بـ (صيّر) هو الظاهر [٧] ؛ لأنه معرفة ، والأصل في الحال أن تكون نكرة ، فإعرابه مفعولاً ثانيًا أولى من إعرابه حالاً .

---

(١) ينظر : اللسان (نبذ) ، مفردات الراغب ٢ : ٦٢٢ ، بصائر ذوي التمييز ٥ : ١١ .

(٢) هو هشام بن معاوية الضرير أبو عبد الله النحوي الكوفي أحد أصحاب الكسائي . توفي ٢٠٩ هـ . ينظر : البغية ٢ : ٣٢٨ .

(٣) هو عبد الله بن جعفر بن درستويه فارس الأصل اشتهر باللغة توفي ٣٤٠ هـ . الأعلام ٤ : ٧٦ .

(٤) النساء : ٢٨ .

(٥) ينظر : الهمع ١ : ١٥١ .

(٦) البيت من الكامل ، والمعنى : قتلته فتركته مصروعًا في الأرض . ديوانه : ٢٥٧ .

(٧) ينظر : شرح الكافية ٤ : ١٧٣ .

وذهب جماعة من المتأخرين منهم خطاب المـاردي [١] إلـى جـواز تضمين الفعل المتعدي إلى واحد معنى (صيّر) ويجعل من هـذا البـاب ، فأجاز حفرت وسط الدار بئراً ، ولا يكون (بئراً) تمييزاً ؛ لأنه لا يحسـن فيه (من) وكذا بنيت الدار مسجداً ، وقطعت الثوب قميصا ، والجلد نعلاً ، وصنعت الثوب خمسلسيًا ؛ لأن المعنى فيها : صيّرت [٢] .

وجعل من ذلك قول المتنبي :

فمضت وقد صبغ الحياءُ بياضَها لوني ، كما صبغ اللجينَ العسجدُ [٣]

لأن المعنى : صيّر الحياء بياضها لوني ، أي : مثل لوني [٤] .

ومعلوم أن التضمين بابه الشعر ، وإذا ما ورد منه شيء في النثـر فإنه يحفظ ولا يقاس عليه .

وهذا ما نص عليه أبو حيان حيث يقول : "والصحيح أن هذا كله من باب التضمين ، والتضمين لا يجوز بقياس في الكلام ، وإنما يجـئ فـي الشعر للضرورة ، وإن جاء شيء منه في الكلام حفظ ولم يقس عليه لقلـة ما جاء منه " [٥] .

يذر :

فقد ذهب أبو السعود إلى جواز تضمين الفعل (يذر) في قوله تعالى : ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴾ [٦] معنى (صيّر) فنصـبت مفعـولين ، (هـا) المفعول الأول ، و (قاعًا) المفعول الثاني [٧]

---

(١) هو خطاب بن يوسف بن هلال القرطبي الماردي من جلة النحاة ومحققيهم أخذ عن ابن الفخار وغيره . توفى بعد الخمسين والأربعمائة . ينظر : البغية ١ : ٥٥٣ .

(٢) ينظر : التذييل والتكميل ٦ : ٤٤ ، الهمع ١ : ١٥١ .

(٣) البيت من الكامل اللجين : الفضة ، العسجد : الذهب . ديوانه : ٤٧ .

(٤) ينظر : التذييل والتكميل ٦ : ٤٤ .

(٥) المصدر السابق : الجزء والصفحة .

(٦) طه : ١٠٦ .

(٧) أبو السعود ٦ : ٤٢ ، حاشية الجمل ٣ : ١١١ .

وباب الإلحاق عن طريق التضمين واسع ، يمكن ضبطه عن طريق ضابط الصيرورة وهو : الحصول بعد أن لم يكن ، فإن وافق الفعل المضمن معنى الصيرورة ألحق ، وإلا فلا .

المبحث الثالث

الصيرورة في صيغ الأفعال

بعد أن تناولت معنى الصيرورة في باب النواسخ ، فتحدثت عن (صار) ومرادفاتها وملحقاتها ، وعن (صيّر) ومرادفاتها وملحقاتها ، أنتقل الآن إلى الحديث عن الصيرورة في صيغ الأفعال (الثلاثية المجردة ، والثلاثية المزيد فيها) .

أولاً : الصيرورة في الفعل الثلاثي المجرد :

الفعل الثلاثي المجرد في اللسان العربي على ثلاثة أوزان :

(فَعَل) : بفتح العين ، و (فَعِل) بكسرها ، و (فَعُل) بضمها .

أما (فَعَل) مفتوح العين :

فهو أكثر الأبنية ورودًا في اللسان العربي ، وأوفرها استعمالا ، حتى إن إمام النحاة سيبويه قال عنه :" وليس شيء في الكلام أكثر من (فَعَل) " [١]

وقال الرضي : " اعلم أن باب (فَعَل) لخفته لم يختص بمعنى من المعاني بل استعمل في جميعها ؛ لأن اللفظ إذا خف كثر استعماله واتسع التصرف فيه " [٢] .

وقال ابن يعيش : " فَعَل مفتوح العين يقع على معانٍ كثيرة لا تكاد تنحصر توسعًا فيه لخفة البناء " [٣] .

ولأن صيغة (فَعَل) مفتوحة العين ، معانيها غير محصورة فإنها تستقي من نص العلماء عليها في المعاجم وكتب اللغة ، وقد رأينا أفعالاً على هذا الوزن دالة على الصيرورة تنبهنا إلى هذا المعنى نصوص العلماء ، فقد

---

(١) الكتاب ٤ : ٣٧ تحقيق هارون . ط الخانجي .
(٢) شرح الشافية ١ : ٧٠ .
(٣) شرح المفصل ٧ : ١٥٦ .

رأينا : كان ، بمعنى صار ، وجعل ، وقعد ، وصار ، وترك ، ووهب ، وغدا ، وراح ... الخ . وكلها على وزن (فَعَل) .

وكان الضابط في هذا الاستعمال : تحول الشيء وانتقاله إلى حالة لم يكن عليها من قبل ، وكانت هذه الأفعال من حيث المعنى دالة على الصيرورة ، ومن حيث العمل ناسخة للجملة الاسمية (رافعة للمبتدأ ناصبة للخبر ، أو ناصبة لهما) .

وأما (فَعِل) :

فإنه يكثر في الأعراض من العلل والأدواء نحو : مرِض ، وسقِم ، وبرِص ، والحزن نحو : حزِن ، وغضِب ، وأضدادهما نحو : برِئ ، ونشِط ، وفرِح ، ورضِي . ومما يلحق بالأدواء نحو : الجوع والعطش ، فيقال : جاع وأصلها (جوِع) ، وعطِش ، وظمِئ .

ويكثر ـ كذلك ـ في الألوان ، نحو : سوِد ، وحمِر ، وخضِر ، والأغلب في الألوان : استعمال ما كان على وزن (افعلّ)، و(افعالّ) نحو : اخضرّ ، واخضارّ ، واحمرّ واحمارّ .

وقد يشارك (فعِل) في الألوان (فعُل) مضموم العين بشرط ألا يكون لامه ياء ، فإن (فعُل) لا يجئ فيه ذلك إلا في حرف واحد هو: بهُو الرجل، وبهِي ، أي : صار بهيا [1] .

فـ (بهِي) على وزن (فعِل) مكسور العين دل على لون ، وقد صرّح الرضي بمعنى الصيرورة فيه .

وهذا التصريح من الرضي في الفعل (بهِي) بمعنى الصيرورة يجعلنا نطمئن إلى انسحاب هذا المعنى إلى ما كان على وزن (فعِل) دالاً على

---

(١) شرح الشافية ١ : ٧٣ ، وينظر : الكتاب ٤ : ١٧ ، شرح المفصل ٧ : ١٥٧ ، المغني في تصريف الأفعال للشيخ عضيمة : ١١٤ .

لون، فلنا أن نقول في : حمِر الورد ، المعنى : صار أحمر ، وخضِر الزرع ، أي : صار أخضر وهكذا ...

وأما (فَعُل) :

فإنه يكثر في أفعال الطبائع والسجايا الملازمة لصاحبها نحو : حسُن ، وقبُح ، وكبُر ، وصغُر ، وحلُم ، وشرُف [١] .

وقد صرّح الرضي بمجيء (فَعُل) مضموم العين بمعنى (صار) حيث يقول : " وقد جاء من الأجوف اليائي [٢] حرف واحد قولهم : هيُوَ ، أي : صار ذا هيئة ، ولم تقلب الياء في الماضي ألفاً إذ لو قلبت ألفاً لوجب إعلال المضارع بنقل حركتها إلى ما قبلها وقلبها واواً ؛ لأن المضارع يتبع الماضي في الإعلال فكنت تقول : هاء يهوء فيحصل الانتقال من الأخف إلى الأثقل " [٣] .

ثم يقول : " وجاء من الناقص اليائي حرف واحد متصرف وهو : بَهُو الرجل يبهو ، بمعنى : بَهِي يَبْهَى ، أي : صار بهيا " [٤] .

وقد جاء أيضا : نهوُ الرجل ، أي : صار ذا نهية ، وهي العقل [٥] .

ولم يجئ على (فَعُل) من المضاعف إلا قليلاً نحو : لبُبْتَ تلُبُّ ، ولبِبْتَ تلَبُّ : أي صرت لبيباً [٦] .

---

(١) شرح الشافية ١ : ٧٤ ، وينظر الكتاب : ٤ : ٢٨ ، شرح مختصر التصريف العزي للتفتازاني : ٣٤ ، المغني في تصريف الأفعال : ١١٥ .

(٢) " الأصل ألا يجئ من هذا الباب أجوف يائي ، ولا ناقص يائي ؛ لأن مضارع (فَعُل يفعُل) بالضم لا غير ، فلو أتيا منه لاجتمعت إلى قلب الياء ألفا في الماضي ، وفي المضارع واوًا نحو : يبوع ، ويرمو ، من البيع والرمي ، فكنت تنتقل من الأخف إلى الأثقل " شرح الشافية ١ : ٧٦ .

(٣) شرح الشافية ١ : ٧٦ .

(٤) المصدر السابق الجزء نفسه والصفحة نفسها .

(٥) الهمع ٢ : ١٦١ .

(٦) ينظر : الكتاب ٤ : ٣٧ ، الشافية ١ : ٧٧ ، المغني : ١١٥ .

وكل فعل ثلاثي استوفى شروط التعجب يجوز تحويله إلى (فَعُل) ليلحق بالغرائز للمبالغة والتعجب فيستعمل استعمال نعم وبئس ، نحـو : فَهُـم ، وفَقُه، وحبُ ، وشدُ ، والأصل : حَبُبَ ، وشَدُدَ [١] .

يقول الرضيّ : " ولما قول علي رضي الله عنه : " لشدُ مـا تَشَـطُرا ضرعيها) [٢] فمنقول إلى (فَعُل) كما قلنا في حبذا وحَبُبْتَ ، فلا يستعمل (حبُ) و (شدُ) بمعنى (صار) حبيبًا وشديدًا إلا في التعجب كما في حبـذا وشدّ ما " [٣] .

وهكذا يتضح لنا أن صيغة (فَعُل) قد يرد عليها بعض الأفعال دالة على معنى التحول والصيرورة كما في هيُؤ أي : صار ذا هيئة ، وبهُو : صار بهيا ، ونهُو : صار ذا نهية .

ويتسع مدلول الصيرورة فيها عند تحويل كل فعل استوفى شـروط التعجب إلى (فَعُل) نحو : فهُم ، وفقُه ، وعلُم أي : صار ذا فهم شـديد وذا فقه ، وذا علم .

وضابط الصيرورة فيه واضح .

---

(١) ينظر : شرح الشافية ١ : ٧٧ ، المغني ١١٥ ـ ١١٦ ، دلالات الأفعال في علم التصريف لدكتور إبراهيم الإدكاوي : ٨٥ .

(٢) يقول محقق : " يقوله رضي الله عنه في شأن الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فضمير التثنية عائد إليهما ، والضمير المؤنث يعود إلى الخلافة عن رسول الله (ﷺ) ، يريد أنهما تقاسماها ولن كل واحد منهما قد أخذها شطرا من الزمن " .

(٣) شرح الشافية ١ : ٧٨ .

ثانيا : الصيرورة في الثلاثي المزيد فيه :

الفعل الثلاثي المزيد فيه على ثلاثة أقسام :

أحدها : مزيد فيه بحرف ، والثاني : مزيد فيه بحرفين ، والثالث : مزيد فيه بثلاثة أحرف .

أما المزيد بحرف فعلي ثلاثة أوزان :

١ ــ أفعل :

بزيادة الهمزة .

والمعنى الغالب في هذه الصيغة التعدية وهي كما يقول " العلامة الرضي : " أن يجعل ما كان فاعلاً للازم مفعولاً لمعنى الجعل فاعلاً لأصل الحدث على ما كان ، فمعنى : أذهبت زيدًا : جعلت زيدًا ذاهبًا ، فـ (زيدًا) مفعول لمعنى الجعل الذي استفيد من الهمزة فاعل للذهاب كما كان في : ذهب زيد " [١] .

ثم يصرّح الرضي بأن هذه الهمزة (همزة التعدية) هي همزة الجعل والتصيير .

يقول الرضي : " فإن كان الفعل الثلاثي غير متعد صار متعديًا إلى واحد هو مفعول لمعنى الهمزة أي : الجعل والتصيير كأذهبته ، ومنه : أعظمته ، أي : جعلته عظيمًا باعتقادي ، بمعنى استعظمته ، وإن كان متعديًا إلى واحد صار بالهمزة متعديًا إلى اثنين أولهما : مفعول الجعل ، والثاني : لأصل الفعل ، نحو : أحفرت زيدًا البئر ، أي : جعلته حافرًا ... وإن كان الثلاثي متعديًا إلى اثنين صار متعديًا إلى ثلاثة ، أولهما : للجعل ، والثاني والثالث لأصل الفعل ، وهو فعلان فقط : أعلم وأرى " [٢] .

---

(١) شرح الشافية ١ : ٨٦ .

(٢) المصدر السابق : الجزء نفسه والصفحة نفسها .

فهمزة التعدية عند الرضي ــ كما نرى ــ همزة جعل وتصيير نحو : أمات ، صيره : ميتا ، وأحيا : صيره حيا ، وأضحك : صيره ، ضاحكا ، وأبكى : صيره باكيا .

جاء في مفردات الراغب عند قوله تعالى : ﴿ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴾ [١]

" والإصحاب للشيء : الانقياد له وأصله أن يصير له صاحبًا ، ويقال أصحب فلان إذا كبر ابنه فصار صاحبه ، وأصحب فلان فلانًا جعل صاحبا له " [٢] .

وعند معنى قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ ﴾ [٣] قال الزمخشري : "ما جعلته طاغيا ، وما أوقعته في الطغيان ، ولكنه طغى ، واختار الضلالة على الهدى " [٤] .

وقال الراغب عند قوله تعالى : ﴿ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا ﴾ [٥]

" أي : جعله مظلما " [٦]

ومن المعاني التي ترد عليها صيغة (أفعل) الصيرورة ، فالهمزة فيه تسمى همزة الصيرورة أي: "صيرورة ما هو فاعل (أفعل) صاحب شيء، وهو على ضربين : إما أن يصير صاحب ما اشتق عنه ، نحو : ألحم زيد ، أي : صار ذا لحم ، وأطفلت أي : صارت ذات طفل ، وأعسر وأيسر وأقل ، أي : صار ذا عسر ويسر وقلة ، وأغد البعير ، أي : صار ذا غدة، وأرأب ، أي : صار ذا ربية ، وإما أن يصير صاحب شيء هو صاحب ما

---

(١) الأنبياء : ٤٣ .
(٢) المفردات في غريب القرآن ٢ : ٣٦١ ـ ٣٦٢ ، وينظر : دراسات الشيخ عضيمة ٢ : ١ : ١٣٣
(٣) ق : ٢٧ .
(٤) الكشاف ٥ : ٦٠٠ ، وينظر : دراسات الشيخ عضيمة ٢ : ١ : ١٣٨ .
(٥) النازعات : ٢٩ .
(٦) المفردات ٢ : ٤٦٩ ، وينظر : دراسات الشيخ عضيمة ٢ : ١ : ١٣٨ .

اشتق منه ، نحو : أجرب الرجل ، أي : صار ذا إبل ذات جرب ، وأقطف ، أي : صار صاحب خيل تقطف (أي أسامت السير وأبطأت) ، وأخبث ، أي : صار ذا أصحاب خبثاء " [1] .

ومن شواهد هذا في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ انظُرُواْ إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾ [2] ، وقوله تعالى : ﴿ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ ﴾ [3] أي : صار ذا ثمر كما يقال : ألبن الرجل وأتمر صار ذا ثمر ولبن [4] .

ومن هذا الفعل (أجرم) في نحو قوله تعالى : ﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا ﴾ [5] قال الراغب : " أجرم : صار ذا جرم ، أثمر وأتمر وألبن ، الجرم : قطع الثمرة ، واستعير ذلك لكل اكتساب مكروه " [6] .

ومن الضرب الأول قولهم : أحصد الزرع أي : صار ذا حصاد ، وبعض الصرفيين جعل هذا قسمًا آخر بمعنى : حان وقت يستحق فيه فاعل أفعل أن يوقع عليه أصل الفعل فـ : أحصد الزرع أي : حان أن يحصد[7] ومثله : أجد النخلُ أي : حان أن يقطع ثمره ، وأقطع النخل ، أيضا ـ حان قطاعه [8] .

ومن هذا النوع ـ أيضا ـ أي : صيرورته ذا كذا ـ دخول الفاعل في الوقت المشتق منه (الفعل) نحو : أصبح ، وأمسى ، وأفجر ، وأشهر أي : دخل في وقت الصباح ، والمساء ، والفجر ، والشهر [9] ، لأنه بمنزلة

---

(١) شرح الشافية ١ : ٨٨ وينظر الهمع ٢ : ١٦١ ، شرح المفصل ٧ : ١٥٩ .
(٢) الأنعام : ٩٩ .
(٣) الأنعام : ١٤١ .
(٤) ينظر المفردات ١ : ١١٨ ، وينظر : دراسات لأسلوب القرآن ٢ : ١ : ٢٤٤ .
(٥) سبأ : ٢٥ .
(٦) المفردات ١ : ١١٨ ، وينظر : دراسات لأسلوب القرآن ٢ : ١ : ٢٤٥ .
(٧) شرح الشافية ١ : ٨٩ .
(٨) ينظر : شرح الشافية ١ : ٩٠ ، الكتاب ٤ : ٦٠ ، شرح المفصل ٧ : ١٥٩ .
(٩) المصادر السابقة .

صرنا ذوي صباح [١] .

ومن هذا قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا ﴾ [٢] قال أبو حيان : " أي : دخلت في الثقل ، كما تقول : أصبح وأمسى ، أو صارت ذا ثقل ، كما تقول : أتمر الرجل وألبن إذا صار ذا تمر ولبن " [٣] .

ويدخل في هذا النوع ـ أيضا ـ الدخول في المكان الذي هو أصله ، والوصول إليه ، كأكدي : أي وصل إلى الكدية (وهي الأرض الصلبة) وأنجد وأجبل ، أي : وصل إلى نجد ، وإلى الجبل ، ومنه الوصول إلى العدد الذي هو أصله ، كأعشر وأتسع وآلف ، أي : وصل إلى العشرة والتسعة والألف [٤] .

ثم يقول الرضي : " فجميع هذا بمعنى : صار ذا كذا ، أي : صار ذا الصبح ، وذا المساء ، وذا الشمال ، وذا الجنوب ، وذا الكدية ، وذا الجبل، وذا العشرة " [٥] .

ومن هذا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُواْ إِلَى رَبِّهِمْ ﴾ [٦] .

جاء في الدر : " الإخبات : التواضع والتذلل ، وأصله من الخبت . وهو المكان المطمئن من الأرض . وقيل : البراح : القفر المستوى ، ويقال : أخبت " دخل في الخبت ، كأنجد : دخل نجدا ، وأتهم : دخل تهامة ، ثم توسع فيه فقيل : خبت ذكره " [٧] .

---

(١) شرح مختصر التصريف العزي : ٣٦ .

(٢) الأعراف : ١٨٩ .

(٣) البحر ٤ : ٤٢٧ ، وينظر : دراسات لأسلوب القرآن ٢ : ١ : ٢٣٤ .

(٤) ينظر شرح الشافية ١ : ٩٠ ، المغني : ١٢٧ ـ ١٢٨ .

(٥) شرح الشافية ١ : ٩٠ .

(٦) هود : ٢٣ .

(٧) جاء في الدر المصون : " الإخبات : الاطمئنان والتواضع والتذلل ، وأصله من الخبت وهو المكان المطمئن ، أي : المنخفض من الأرض ، وأخبت الرجل : دخل في مكان خبت كأنجد وأتهم إذا دخل في هذين المكانين ثم توسع فيه ، فقيل : خبت ذكره " الدر المصون ٦ : ٣٠٥ ، وينظر دراسات لأسلوب القرآن ٢ : ١ : ٢٣٤ .

وهكذا ... رأينا معنى الصيرورة واضحًا جدًا في (أفعل) حيث ينطبق عليها ضابط الصيرورة وهو حصول الشيء بعد أن لم يكن .

٢ ــ فَعَّل : بتضعيف العين

والمعنى الغالب في (فَعَّل) التكثير ، وهو إما في الفعل نحو : جوّلت وطوفت ، أي : أكثرت الجولان والطوفان ، أو في الفاعل نحو : موّتت الإبل ، أي : كثر فيها الموت ، أو في المفعول نحو : غلّقتُ الأبواب ، وذبّحت الشاءَ ولا يقال : غلّقت الباب ، ولا ذبّحت الشاة [١] .

ومن المعاني التي يرد عليها (فعّل) : الصيرورة ، وهي على ثلاث صور [٢] :

الأولى : مجيء (فعّل) بمعنى صار ذا أصله نحو : ورّق الشجر أي : صار ذا ورق ، وقيّح الجرح ، أي : صار ذا قيح .

الثانية : مجيئه بمعنى صيرورة فاعله أصله المشتق منه ، كروّض المكان أي : صار روضا ، وعجّزت المرأة ، وثيّبت وعوّنت أي : صارت عجوزًا وثيبًا ، وعوانا .

الثالثة : مجيئه بمعنى تصيير مفعوله على ما هو عليه ، نحو قولك : سبحان الذي ضوّأ الأضواء ، وكوّف الكوفة ، وبصّر البصرة ، أي : جعلها أضواء ، وكوفة ، وبصرة .

وزاد الشيخ الحملاوي صورة أخرى للصيرورة ، وهي : صيرورة شيء شبه شيء كقوّس زيد ، وحجّر الطين ، أي : صار شبه القوس في الانحناء ، والحجر في الجمود [٣] .

---

(١) ينظر : الكتاب ٤ : ٦٤ ـ ٢٣٨ ، الخصائص ١ : ٢٢٣ ، شرح الشافية ٧ : ٩٢ ، شرح المفصل ٧ : ١٥٩ ، المغني : ١٣١ .

(٢) ينظر : شرح الشافية ١ : ٩٥ .

(٣) شذا العرف : ٢٩ .

٣ ــ فاعل : والمعنى الغالب فيها المشاركة . والتي عبّر عنهـا سـيبويه بقوله : " اعلم أنك إذا قلت فاعلته ، فقد كان من غيرك إليك مثل ما كـان منك إليه حين قلت فاعلته ، ومثل ذلك : ضاربته ، وفارقته ، وكارمتـه ، وعازّني وعازرته ، وخاصمني وخاصمته " [١] .

وزاد الشيخ الحملاوي معنى غالبًا ثانيًا هو معنى المـوالاة ، فيكـون بمعنى (أفعل) المتعدى نحو : والبت الصوم وتابعته ، بمعنـى : أوليـت وأتبعت بعضه بعضا [٢] .

وأما معنى الصيرورة : فقد نص الرضي على أن (فاعل) قـد يجـئ بمعنى جعل الشيء ذا أصله كـ (أفعل) و(فعّل) نحو :راعنا سمعك ، أي : اجعله ذا رعاية لنا نحو: (أرعنا) ، وصاعَرَ خدَّه ، أي : جعله ذا صعر ، وعافاك الله ،أي : جعلك ذا عافية ،وعاقبت فلانًا ،أي : جعلته ذا عقوبة [٣]

والحق مع الرضي في هذا الاتجاه فإن معنى التحول والانتقال من حال إلى حال واضح فيما ذكر .

وأما الثلاثي المزيد بحرفين والذي يدل على معنى الصيرورة فـوزن واحد هو (تفعّل) .

والمعنى الغالب في (تفعّل) مطاوعة (فعّل) نحـو : هذّبتـه فتهـذب ، وأدبته فتأدب ، وقوّمته فتقوّم [٤] .

وقد نص الرضي على أن المعنى الغالب في (تفعّل) الصيرورة حيث يقول:

---

(١) الكتاب ٤ : ٦٨ ، ويظر : شرح الشافية ١ : ٩٦ ، المنصف ١ : ٩٢ ، شرح مختصر التصريف ٣٨ .
(٢) شذا العرف : ٢٩ .
(٣) ينظر : شرح الشافية ١ : ٩٩ .
(٤) ينظر : المنصف ١ : ٩١ ، شرح الشافية ١ : ١٠٤ ، شرح مختصر التصريف : ٣٨ ، شرح المفصل ٧ : ١٥٨ ، دراسات لأسلوب القرآن ٢ : ١ : ٥٦٨ .

" والأغلب في (تفعّل) معنى صيرورة الشيء ذا أصله كتأثّل ، وتألّم ، وتأكّل ، وتأصّل ، وتفكّك ، وتألّب ، أي : صار مأكولاً ، وذا أسف ، وذا أصل ، وذا فكك ، وذا ألب ، فيكون مطاوع (فعّل) الذي هو لجعل الشيء ذا أصله ، إما حقيقة ، كما في : ألّبته فتألّب ، وأصّلته فتأصّل ، وإما تقديرًا كما في : تأثّل ، إذ لم يستعمل : أثّل بمعنى جعل ذا أهل ، وقد يجيء (تفعّل) مطاوع (فعّل) الذي معناه : جعل الشيء نفس أصله ، إما حقيقة أو تقديرًا ، نحو : تربّب العنب ، وتأجّل الوحش (أي : صار قطيعا) ، و تكأل : أي : صار إكليلاً أي : محيطا " [١] .

وهذا الاستعمال شائع في اللسان العربي فيقولون : تزوج فلان إذا صار زوجًا ، وتأيمت المرأة ، وترملت ، وتحجّر الطين ، وتجبّن اللبن ، وتقدم فلان ، وتأخر [٢] . فمعنى الصيرورة واضح في الجميع .

وأما الثلاثي المزيد بثلاثة أحرف والذي يدل على معنى الصيرورة فوزنان : استفعل ، وافعوعل .

أما استفعل :

فالمعنى الذي يغلب عليه هو السؤال والطلب وهو إما صريح نحو : استغفرت الله ، واستكتبت بكرًا ، وإما في التقدير نحو : استخرجت الوتد ، فليس ههنا طلب في الحقيقة وإنما هو طلب مجازي فبمزاولة إخراجه والاجتهاد في تحريكه كأنه طلب منه أن يخرج [٣] .

ويأتي (استفعل) بمعنى التحول والصيرورة إما حقيقة نحو : استجحر الطين أي : صار حجرًا حقيقة ، أي : صار كالحجر في الصلابة وإما

---

(١) شرح الشافية ١ : ١٠٧ .

(٢) ينظر : المغني في تصريف الأفعال : ١٤٣ ، دلالات الأفعال : ١٠٢ .

(٣) ينظر : الكتاب ٢ : ٢٣٩ ، شرح الرضي ١ : ١١٠ ، شرح المفصل ١ : ١٦١ ، المنصف ١ : ٧٧ ، دراسات لأسلوب القرآن ٢ : ١ : ٦٥٦ .

مجازاً نحو : إن الببغاث ـ ضعاف الطير ـ بأرضنا يستنسر ، أي : يصير كالنسر في القوة ، واستوق الجمل ، أي : صار الجمل كالناقة في طباعها ، واستتيست الشاة أي : صارت الشاة كالتيس [١] ويقولون : استرجل الغلام أي : صار رجلاً ، واستذأب الكلب أي : صار كالذئب ، واستحصن المهر أي : صار حصاناً .

فالألف والسين والتاء دلت على معنى الصيرورة في الصيغة وضابط الصيرورة فيها واضح وهو الحصول بعد أن لم يحصل .

قال الشيخ عضيمة ـ رحمه الله ـ : " ويحتمل هذا المعنى قوله تعالى : ﴿ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ ﴾ [٢] ، استكان : استفعل ، من الكون ، أي : انتقل من كون إلى كون ، كما تقول : استحال أي : انتقل من حال إلى حال " [٣] .

ويقول الرضي : " وقيل : استفعل من الكون ، وقيل من الكين والسين للانتقال كما في : استحجر ، أي : انتقل إلى كون آخر ، أي : حالة أخرى، أي : من العزة إلى الذلة ، أو صار كالكين وهو لحم داخل الفرج ، أي : في اللين والذلة " [٤]

ومن هذا قوله تعالى : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [٥]

قال الجمل : " أي : عمركم وأسكنكم فالسين والتاء زائدتان ، أو صيركم عامرين لهما فهما للصيرورة " [٦]

---

(١) ينظر : الكتاب ٢ : ٢٣٩ ، شرح الشافية ١ : ١١١ ، المنصف ١ : ٧٨ ، الهمع ٢ : ١٦٢ ، شرح مختصر التصريف : ٤١ .
(٢) آل عمران : ١٤٦ .
(٣) المغني في تصريف الأفعال : ١٥٠ .
(٤) شرح الكافية ١ : ٧٠ .
(٥) هود : ٦١ .
(٦) حاشية الجمل ٢ : ٤٠٦ ، وينظر : دراسات لأسلوب القرآن ٢ :١ : ٦٦٥ .

وقوله تعالى : ﴿ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ ﴾ [١]

قال الزمخشري : " فصار من الدقة إلى الغلظ " [٢] .

وأما الوزن الثاني الدال على الصيرورة فهو (افعوعل) .

وجاء افعوعل للصيرورة كاحلولي الشيء : صار حلوًا ، واحقوقف الجسم والهلال : صار كل منهما أحقف ، أي : منحنيًا [٣]

وبعد ...

فهذه هي الصيغ في الأفعال الثلاثية المجردة والمزيدة التي نص العلماء على دلالتها على معنى الصيرورة ، والباب فيه سعة وضبطه يتأتى من استحضار ضابط الصيرورة عند قصد الاستعمال إليه فمتى ما تحقق الضابط كان الاستعمال وإلا فلا .

---

(١) الفتح : ٢٩ .
(٢) الكشاف ٥ : ٥٥٣ ، دراسات لأسلوب القرآن ٢ : ١ : ٦٦٦ .
(٣) ينظر : الهمع ٢ : ١٦٢ ، المنصف ١ : ٨١ ، شرح المفصل ٧ : ١٦١ .

الخاتمة

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

وبعد ...

فقد عشنا مع معنى الصيرورة والأفعال الدالة عليها في اللسان العربي ، ودراستها من خلال أمهات الكتب والمراجع في تراث المتقدمين والمتأخرين، والتطبيق عليها من القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف، وأشعار العرب الفصحاء ونثرهم ، وقد حاولت ـ قدر الجهد ـ بهذه الدراسة أن أبرز جانبًا من جوانب مرونة اللغة العربية ، وسعتها ، والكشف عن منحى من مناحي أسرارها ، واستطعت أن أخلص إلى بعض النتائج ، من أهمها ما يلي :

١ ـ أن معنى الصيرورة من المعاني الواسعة في الاستعمال في اللسان العربي ، وقد وردت أفعال كثيرة غير محصورة يمكن أن تدل على هذا المعنى ، ولذا فقد وضع النحاة ـ ربطًا للباب ـ ضابطًا لمعنى الصيرورة لحصر الأفعال المستعملة فيه وهو : تحول الشيء من صفة كان عليها إلى صفة أخرى لم يكن عليها من قبل، وهو ما عبر عنه العلامة الرضي بقوله : " كان بعد أن لم يكن "[1]

٢ ـ أن (صار) ومرادفاتها ـ عند الرضي ـ كانت أفعالاً تامة ثم ضمنت معنى كان بعد أن لم يكن فصارت ناقصة ناسخة .

٣ ـ أن الأفعال الملحقة بـ (صار) ، أو بـ (صيّر) يستفاد منها معنى الصيرورة مع لمح المعنى الأصلي لهذه الأفعال الملحقة ، وقد رأينا هذا في الفعل (كان) الذي يدل على الصيرورة بتمكن وتحقق

---

(١) شرح الكافية ٤ : ١٨٣ .

وقد فهمنا هذا من مثل قوله تعالى : ﴿ فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا * وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ [١] أي : صارت الجبال هباءً ، وصرتم أزواجًا بتمكن وتحقق .

والفعل (أصبح) يدل على الصيرورة بعد ظلمة مجازية في نحو قوله تعالى : ﴿ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [٢] أي : صرتم إخوانا بعد مرحلة زمنية تشبه في ظلمتها ظلمة الليل حيث الإحن والعداوات والبغضاء ، كما أن الفعل (أصبح) يدل على أول النهار المقتضي الحيوية والنشاط ، من حيث هي مبدأ النهار ، وفيها مبدأ الأعمال وفي هذا دعوة إلى الاستمرار على الحال التي تحول إليها المؤمنون وهي حال التواد والتحاب والتآلف .

والفعل (أمسى) يدل على الصيرورة مع دلالته ـ أيضا ـ على الدخول في مرحلة من الضيق والهم تشبه ظلمة الليل ، من هذا قول الشاعر :

أمست خلاءً وأمسى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد

فالدار أمست خالية بعد حركة وأنس للحالة وفي هذا ما فيه من التصوير الحالة النفسية للشاعر حيث اعتراه الألم والحزن لهذا التحول ، فهو موفق أيما توفيق حين استعمل الفعل (أمسى) في هذا المعنى .

والفعل (ترك) يدل على التحول والصيرورة مع لمح المعنى الأصلي لها وهو النبذ والتخلي ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ [٣]

---

(١) الواقعة : ٦ ، ٧ .
(٢) آل عمران : ١٠٣ .
(٣) الكهف : ٩٩ .

والفعل (اتخذ) يدل على الصيرورة مع دلالته على معنى الاعتمال ، فإذا قلت : اتخذت فلانًا صديقًا ، أي : اجتهدت في هذا الأخذ ، بحيث إنني لا أفرّط فيه بسهولة .

وهكذا .... مع كل فعل ملحق بـ (صار) أو بـ (صيّر) نلحظ – مع دلالته على معنى الصيرورة – المعنى الأصلي للفعل ، ومن هنا تتكشف لنا بعض الأسرار في استعمال هذه الأفعال في سياقاتها في النسق القرآني وغيره . وقد بدا هذا واضحًا في طيات البحث .

٤ – أن الأفعال الملحقة بـ (صار) أو (يصيّر) تشبههما في المعنى والعمل .

أسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت إلى ما قصدت إليه فإن كان ذلك فلله الحمد والمنة وإن كانت الأخرى فعذري أنني حاولت ، واجتهدت فيما إليه قصدت .

والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

د . عوض إسماعيل عبد الله

ثبت بأهم المصادر والمراجع

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان تحقيق د/ رجب عثمان محمد مراجعة د/ رمضان عبد التواب ــ مكتبة الخانجي ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى .

٣ ــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . للعلامة أبي السعود . دار المصحف ــ القاهرة بدون .

٤ ــ الإرشاد إلى علم الإعراب للإمام شمس الدين الكيشي . تحقيق د/ عبد الله الحسيني بركات ، و د/ محسن سالم العميري . طبع جامعة أم القرى ــ المملكة العربية السعودية ــ معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي .

٥ ــ أساس البلاغة للإمام الزمخشري تحقيق محمد باسل السود ــ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٨ .

٦ ــ الأصول في النحو لابن السراج تحقيق د/ عبد الحسين الفتلي ــ مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة ١٩٩٦م .

٧ ــ الأعلام لخير الدين الزركلي ــ دار العلم للملايين ــ بيروت الطبعة التاسعة ١٩٩٠م .

٨ ــ الإقناع في القراءات السبع لأبي جعفر الأنصاري . تحقيق / أحمد فريد المزيدي . دار الكتب العلمية بيروت ــ الطبعة الأولى ١٩٩٩م .

٩ ــ أمالي ابن الشجري ــ تحقيق د/ محمود الطناحي ــ مكتبة الخانجي ــ بدون .

١٠ ــ إملاء ما من به الرحمن لأبي البقاء العكبري ــ دار الكتب العلمية ــ الطبعة الأولى ١٩٧٩م .
١١ ــ إنباه الرواة على أنباه النحاة القفطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ــ دار الفكر العربي ــ ط ١ : ١٩٨٦م .
١٢ ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي ــ تحقيق د/ حمزة النشرتي وآخرين ــ مكتبة الأسولي ــ دمنهور ١٤١٨هـ .
١٣ ــ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام . تحقيق الشيخ / محمد محي الدين عبد الحميد ــ المكتبة العصرية ــ صيدا ــ بيروت ــ بدون .
١٤ ــ البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي تحقيق الشيخ / عادل عبد الموجود وآخرين ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ١٩٩٣م .
١٥ ــ البديع في علم العربية لابن الأثير ــ تحقيق د/ فتحي أحمد علي الدين ــ جامعة أم القرى ــ مكة ــ ١٤٢٠هـ .
١٦ ــ البرهان في علوم القرآن الزركشي ــ تحقيق د/ محمد أبو الفضل إبراهيم ــ بدون .
١٧ ــ البسيط في شرح جمل الزجاجي لابن أبي الربيع تحقيق د/ عياد الثبيتي ــ دار الغرب الإسلامي ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ١٩٨٦م .
١٨ ــ بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز الفيروز آبادي تحقيق / محمد علي النجار ــ طبع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ــ ط ٣ ــ ١٩٩٦م .
١٩ ــ البيان في غريب إعراب القرآن لأبي البركات الأنباري ــ تحقيق د/ طه عبد الحميد طه ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ــ ١٩٨٠م

٢٠ ــ التبصرة والتذكرة للصيمري ــ تحقيق د/ أحمد مصطفى علي الدين ــ الطبعة الأولى ــ ١٩٨٢م ــ طبع جامعة أم القرى .
٢١ ــ التحرير والتنوير للعلامة محمد الطاهر بن عاشور ــ الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م .
٢٢ ــ التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل لأبي حيان الأندلسي ــ تحقيق د/ حسن هنداوي ــ دار القلم ــ دمشق ــ الطبعة الأولى ٢٠٠٢م .
٢٣ ــ تسهيل الفوائد لابن مالك تحقيق محمد كامل بركات ــ دار الكتاب العربي ١٩٦٧م .
٢٤ ــ تفسير حدائق الروح والريحان للعلامة محمد الأمين العلوي الشافعي ــ دار طوق النجاة بمكة المكرمة ــ ط ١ ــ ٢٠٠١م .
٢٥ ــ التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ ط ٢ .
٢٦ ــ التوطئة لأبي علي الشلوبين تحقيق د/ يوسف المطوع ــ بدون .
٢٧ ــ الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي ــ اعتنى به وصححه الشيخ / هشام سمير البخاري ــ عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ــ الرياض ــ بدون .
٢٨ ــ جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام الطبري ــ تحقيق محمود محمد شاكر ــ ط ٢ ــ مكتبة ابن تيمية .
٢٩ ــ الجمل في النحو لأبي القاسم الزجاجي ــ حققه وقدم له د/ علي توفيق الحمد ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ الطبعة الخامسة ــ ١٩٩٦م .
٣٠ ــ حاشية الجمل على الجلالين ــ عيسى البابي الحلبي .

٣١ ـ حاشية الصاوي على الجلالين ـ الطبعة الأخيرة ـ مراجعة الشيخ علي الضباع ـ مصطفى البابي الحلبي .
٣٢ ـ حاشية الصبان على شرح الأشموني على الألفية ـ دار إحياء الكتب العربية ـ فيصل الحلبي .
٣٣ ـ حاشية الشيخ يس على شرح التصريح على التوضيح ـ الحلبي .
٣٤ ـ حاشية الشيخ يس على شرح الفاكهي على قطر الندي ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٧١م .
٣٥ ـ الخصائص لابن جني ـ تحقيق محمد علي النجار ـ دار الهدى للطباعة والنشر ـ بيروت ـ الطبعة الثانية .
٣٦ ـ دراسات لأسلوب القرآن الكريم للشيخ محمد عبد الخالق عطية ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ بدون .
٣٧ ـ الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ـ تحقيق د/ محمد أحمد الخراط ـ دار القلم ـ دمشق .
٣٨ ـ دلالات الأفعال للدكتور إبراهيم محمد أحمد الإدكاري ـ مطبعة الأمانة ـ شبرا ـ ط ١ ـ ١٩٩٠م .
٣٩ ـ ديوان أبي العتاهية ـ دار بيروت للطباعة والنشر ـ بيروت ـ ١٩٨٦م .
٤٠ ـ ديوان امرئ القيس ـ شرح عبد الرحمن المصطاوي ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ ط ٢ ـ ٢٠٠٤م .
٤ ـ ديوان البحتري ـ تحقيق وشرح حسن كامل الصيرفي ط ٣ ـ دار المعارف .

٤٢ ــ ديوان حسان بن ثابت (رضي الله عنه) شرح الأستاذ / عبد أمهنا ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان ــ الطبعة الثانية ــ ١٩٩٤م .

٤٣ ــ ديوان ذي الرمة ــ شرح عبد الرحمن المصطاوي ــ دار المعرفة ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ــ ٢٠٠٦م .

٤٤ ــ ديوان رؤبة ــ عني بتصحيحه وترتيبه وليم بن الورد ــ دار ابن قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ــ الكويت .

٤٥ ــ ديوان الراعي النميري جمع وتحقيق راينهارت فــايبرت ــ نشــر المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ــ بيروت ١٩٨٠م .

٤٦ ــ ديوان الشنفري تحقيق وشرح إميل يعقوب ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ الطبعة الثانية ١٩٩٦م .

٤٧ ــ ديوان طرفة بن العبد شرح عبــد الــرحمن المصــطاوي ــ دار المعرفة ــ بيروت ــ ط ١ ــ ٢٠٠٣م .

٤٨ ــ ديوان عدي بن زيد العبادي ــ تحقيق محمــد جبــار المعيبــد ــ منشورات وزارة الثقافة والإرشاد ــ العــراق ــ سلســلة كتــب التراث.

٤٩ ــ ديوان عمر بن أبي ربيعة تصحيح بشير يموت ــ المطبعة الوطنية ــ بيروت ــ ط ١ ــ ١٩٣٤م .

٥٠ ــ ديوان عنترة بن شداد ــ تحقيق ودراسة محمد ســعيد مولــوي ــ بدون .

٥١ ــ ديوان الفرزدق ــ شرح الأستاذ علي فاعور ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ١٩٨٧م .

٥٢ ــ ديوان كعب بن زهير (رضي الله عنه) تحقيق / درويش الجويدي ــ المكتبة العصرية ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ٢٠٠٨م .
٥٣ ــ ديوان لبيد بن أبي ربيعة ــ شرح الطوسي ــ الناشر : دار الكتاب العربي ــ بيروت ــ الطبعة الأولى ١٩٩٣م .
٥٤ ــ ديوان المتنبي ــ دار بيروت للطباعة والنشر ــ ١٩٨٣م .
٥٥ ــ ديوان النابغة الذبياني ــ شرح حمد وطماس ــ دار المعرفة ــ بيروت ــ الطبعة الثانية ٢٠٠٥م .
٥٦ ــ ديوان الهذليين ــ دار الكتب المصرية ــ الطبعة الثانية ــ ١٩٩٥م.
٥٧ ــ روح المعاني في تفسير القرآن والسبع والمثاني ــ للعلامة الألوسي ــ الطباعة المنيرية ــ دار إحياء التراث العربي ــ الطبعة الرابعة ١٩٨٠م .
٥٨ ــ سنن أبي داود إعداد وتعليق عزت عبيد دعاس ــ نشر وتوزيع محمد علي السيد ــ حمص ــ بدون .
٥٩ ــ سنن الترمذي ت / عبد الرحمن محمد عثمان ــ دار الفكر ــ بيروت ــ ١٩٨٣ .
٦٠ ــ السنن الكبرى للإمام النسائي ــ تحقيق حسن عبد المنعم شلبي ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ ط ١ ــ ٢٠٠١م .
٦١ ــ شذا العرف فن الصرف للشيخ الحملاوي ــ مراجعة وتعليق / سعيد محمد اللحام ــ عالم الكتب ــ بيروت ــ ط ٢ ــ ١٩٩٧م.
٦٢ ــ شرح الألفية للأشموني ــ دار إحياء الكتب العربية ــ فيصل الحلبي .

٦٣ ـ شرح الألفية لابن عقيل ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ المكتبة العصرية ـ بيروت ـ ١٩٩٧م .

٦٤ ـ شرح الألفية لابن معط ـ تحقيق ودراسة د/ علي موسى الشوملي ـ مكتبة الخريجي ـ الرياض ـ ط ١ ـ ١٩٨٥م .

٦٥ ـ شرح الألفية للمكودي ـ تحقيق د . فاطمة الراجحي ـ جامعة الكويت ١٩٩٣م .

٦٦ ـ شرح التسهيل لابن مالك ـ تحقيق د/ عبد الرحمن السيد ، د/ محمد بدوي المختون ـ هجر للطباعة والنشر ـ بدون .

٦٧ ـ شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي .

٦٨ ـ شرح جمل الزجاجي لابن عصفور ـ تحقيق د/ صاحب أبو جناح ـ وزارة الأوقاف والشئون الدينية ـ العراق .

٦٩ ـ شرح الشافية لابن الحاجب للعلامة الرضي تحقيق الشيخ محمد محي الدين وزميليه ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٧٥م .

٧٠ ـ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب لابن هشام تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ بدون .

٧١ ـ شرح الكافية لابن الحاجب للعلامة الرضي ، تحقيق د. يوسف عمر ـ منشورات جامعة قان يونس ـ بني غازي ـ الطبعة الثانية ١٩٩٦م .

٧٢ ـ شرح الكافية الشافية لابن مالك تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ٢٠٠٠م .

٧٣ ــ شرح كتاب سيبويه لأبي سعيد السيرافي ــ تحقيق وتقديم د. رمضان عبد التواب وزميليه ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م .

٧٤ ــ شرح اللمع لابن برهان العكبري ــ تحقيق د . فائز فارس ــ الكويت ــ الطبعة الأولى ١٩٨٤م .

٧٥ ــ شرح مختصر التصريف العزي لمسعود بن عمر بن سعد الدين التفتازاني ــ شرح وتحقيق د/ عبد العالم سالم مكرم ــ المكتبة الأزهرية للتراث ــ الطبعة الثانية ١٩٩٧م .

٧٦ ــ شرح المفصل لابن يعيش ــ عالم الكتب ــ بيروت .

٧٧ ــ شرح ملحة الإعراب للإمام أبي محمد القاسم بن علي الحريري ــ تحقيق د . فائز فارس ــ دار الأمل للنشر والتوزيع ــ الأردن ١٩٩١م .

٧٨ ــ الصحاح للجوهري تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ــ دار العلم للملايين ــ بيروت ــ ط ٤ ــ ١٩٩٠م .

٧٩ ــ صحيح مسلم بشرح النووي ــ مكتبة زهران ــ بدون .

٨٠ ــ العوامل المائة النحوية للإمام عبد القاهر الجرجاني شرح الشيخ خالد الأزهري ــ تحقيق د . البدراوي زهران ــ دار المعارف ــ الطبعة الثانية .

٨١ ــ فتح القدير للإمام الشوكاني تحقيق / أبو حفص سيد إبراهيم دار الحديث ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى ١٩٩٣م .

٨٢ ــ في النحو العربي نقد وتوجيه د. مهدي المخزومي ــ دار الرائد العربي ــ بيروت ــ الطبعة الثانية ١٩٨٦م .

٨٣ ــ القاموس المحيط للفيروز آبادي ــ طبع مصطفى البابي الحلبي ــ ط ٢ ــ ١٩٥٢م .

٨٤ ــ الكتاب لإمام النحاة سيبويه ــ تحقيق عبد السلام هارون ــ الخانجي ــ الطبعة الثانية ١٩٨٢م .

٨٥ ــ الكتاب لإمام النحاة سيبويه تصنيف وتحقيق د/ محمد كاظم البكاء ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ط ١ ــ ٢٠٠٤م .

٨٦ ــ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل للعلامة الزمخشري ــ تحقيق وتعليق الشيخ / عادل أحمد عبد الموجود ، والشيخ / علي محمد معوض ــ مكتبة العبيكان ــ الطبعة الأولى ١٩٩٨م .

٨٧ ــ الكشف عن وجوه القراءات السبع وحججها لمكي بن أبي طالب تحقيق د/ محيي الدين رمضان مؤسسة الرسالة ــ الطبعة الخامسة ــ ١٩٩٧م .

٨٨ ــ لسان العرب لابن منظور ــ دار المعارف .

٨٩ ــ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات لابن جني ــ تحقيق علي النجدي ناصف وزميليه ــ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٩٤م .

٩٠ ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ــ تحقيق المجلس العلمي بفاس ١٩٩٢م .

٩١ ــ مختار الصحاح للإمام الرازي عني بترتيبه محمود خاطر ــ دار الحديث القاهرة ــ بدون .

٩٢ ــ المزهر في علوم اللغة وأنواعها للإمام السيوطي شرح وتعليق محمد أبو الفضل إبراهيم وزميليه ــ دار الحرم للتراث ــ سورة الأزبكية ــ القاهرة ــ الطبعة الثالثة .

٩٣ ــ المساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل تحقيق محمد كامل بركات طبع جامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٤٠٠م .

٩٤ ــ المسند للإمام أحمد بن حنبل ــ دار صادر ــ بيروت .

٩٥ ــ مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب ــ تحقيق ياسين محمد السواس ــ دار اليمامة ــ دمشق ــ الطبعة الثالثة .

٩٦ ــ المصباح المنير للفيومي ــ مكتبة لبنان ١٩٨٧م .

٩٧ ــ معاني القرآن للأخفش تحقيق هدى قراعة ــ مكتبة الخانجي ــ القاهرة ــ الطبعة الأولى ١٩٩٠م .

٩٨ ــ معاني القرآن للزجاج شرح وتحقيق د/ عبد الجليل شلبي ــ عالم الكتب ــ الطبعة الأولى ١٩٨٨م .

٩٩ ــ معاني القرآن للكسائي ــ أعاد بناءه وقدم له د/ عيسى شحاته عيسى ــ دار قباء للطباعة والنشر ١٩٩٨م .

١٠٠ ــ المعجم الأوسط للإمام الطبراني ــ دار الحرمين للطباعة والنشر ــ ١٩٩٥م .

١٠١ ــ المعجم الوسيط ــ مجمع اللغة العربية ــ مكتبة الشروق الدولية ط ٤ ــ ٢٠٠٤م .

١٠٢ ــ مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ــ دار إحياء التراث العربي .

١٠٣ ــ مغني اللبيب بحاشية الأمير ــ طبعة الحلبي .

١٠٤ ــ المغني في تصريف الأفعال للشيخ محمد عبد الخالق عضيمة ــ دار الحديث ــ القاهرة ــ الطبعة الثانية ١٩٩٩م .

١٠٥ ــ المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني التحقيق والإعداد مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز ــ الناشر مكتبة نزار .

١٠٦ ــ المقتضب للمبرد تحقيق الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة ــ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٩٤م .

١٠٧ ــ المقدمة الجزولية في النحو تصنيف أبي موسى عيسى الجزولي ت / شعبان عبد الوهاب محمد طبع ونشر مطبعة المقري ١٩٨٨م.

١٠٨ ــ المنصف شرح أبي الفتح ابن جني لكتاب التصريف للمازني ت / إبراهيم مصطفى ، و عبد الله أمين طبع شركة مصطفى البابي الحلبي ــ الطبعة الأولى ــ ١٩٥٤م .

١٠٩ ــ نتائج التحصيل في شرح كتاب التسهيل لمحمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي ــ تحقيق د/ مصطفى صادق العربي .

١١٠ ــ النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير . خرج أحاديثه وعلق عليه أبو عبد الرحمن صلاح بن محمد بن عويضة . منشورات محمد علي بيضون ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ط ١ ــ ١٩٩٧م .

١١١ ــ النواسخ الفعلية والحرفية د/ أحمد سليمان ياقوت ــ دار المعارف بمصر ــ ١٩٨٤م .

١١٢ ــ همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية للعلامة السيوطي ــ مكتبة الكليات الأزهرية ــ الطبعة الأولى ــ ١٣٢٧هـ .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ـ المقدمة	١
ـ معنى الصيرورة وضابطها	
معنى الصيرورة	٥
ضابطها	٧
ـ المبحث الأول	
صار ومرادفاتها	١٠
وقفة مع صار	١٠
مرادفات صار	١٧
آض	١٩
عاد	٢٢
تحول	٢٥
استحال	٢٧
حار	٢٩
رجع	٣٠
ارتد	٣٢
آل	٣٤
قعد	٣٦
جاء	٤٠
غدا ـ راح	٤٢
مرادفات صار من كان وأخواتها	٤٦
كان	٤٦

أصبح ــ أمسى ــ ظل ــ بات ــ أضحى	٥٥
ــ المبحث الثاني : صير ومرادفاتها	
صير	٦٩
أصار	٧٠
جعل	٧١
اتخذ	٧٤
تخذ	٨١
ترك	٨٤
رد	٩٠
وهب	٩٣
ــ ملحقات بالباب	
ضرب	٩٤
أكان	٩٥
نبذ	٩٦
يذر	٩٨
ــ المبحث الثالث : الصيرورة في صيغ الأفعال	
أولاً : الصيرورة في الفعل الثلاثي المجرد	١٠٠
الصيرورة في الثلاثي المزيد فيه	١٠٤
ــ الخاتمة	١١٣
ــ أهم المصادر والمراجع	١١٦
ــ فهرس الموضوعات	١٢٧